مقالات عام

١٩٨٣

obeikandl.com

١٦- صدر الأرض

صدر الأرض يخفق، والراية فوقها تضطرب، وأزاهير الأرض تتفتح، وأشجارها تتمايل، وأخاديدها تتشقق، وخرير مياهها يتسابق، وسماؤها تعانق الأرض. يتنهد التراب والرمل والغبار برائحة البارود الطائرة من أفواه البنادق، وبالدخان الساخن الطائر السائر بين الأرض والسماء، المتردد من الآفاق إلى الآفاق.

شبحان من الأشباح الكريهة القبيحة، بل ذبابتان حقيرتان، بل قنفذتان مؤذيتان، بل خنفستان من خنافس الروث، بل دميتان داميتان.. ثعلب ودب يثيران الفساد هنا وهناك فى المدن والقرى بجيل وغباء.

وبقايا من الرماد الأسود الساخن، ودوار من مرارة الغثيان، ومرارة من الخيبة والخيانة، ومرارة أشد من الغدر ونقض العهد، تطلى وجهى الثعلب والدب فى خرائب الأودية السوداء، والمدن المدمرة المتغطية بالدخان، والملطخة بالدماء.

ثلاث سنوات انقضت منذ دحول ثمانين ألف جندى من الجيش الأحمر المدجج بأحدث السلاح الفتاك، وعشرات بل مئات من الحكايات المرة المؤلمة تنحشر فى حلقى، وفى حلق كل من له حلق، بل قلب يحس بالآلام.

حزمة شوك.. بل حزمة قنابل، بل حزمة قذائف من نار وبارود، ودميتان دميمتان ثعلب ودب.. عميل وسيد، يعبثان بالدمار والهلاك، بأرواح الأحرار العزل من كل سلاح.

ثلاثة أعوام عجفاء تمر وتنقضى، وصدر الأرض مزروع بالصبار وبالنار الملتهبة، ووجهها صرخة مدوية رتيبة فى أودية الصبار والصنوبر، وفى السهول المزروعة بشقائق النعمان.

أظل أسمعها بوضوح.. بوضوح الإيمان رغم الدّوامة الدائرة، والرياح الهائجة، والأعاصير العاصفة، تهب وتعصف بكل يابس ورطب، ورغم المعارك التى تمطر النار، والدمار، وتدفن الناس أحياء وأمواتا.

و صدر الأرض أبدا بقعة سوداء قمينة من الجراح، تشوهه ثلاثة أعوام من التدمير والتخريب والتشريد والتجريح، تقذف بأهل من الأحبة والأولاد، من الآباء والأجداد بلا رحمة إلى الضياع والحرمان والتوهان.

لحظة واحدة أتمناها مستحيلة، سأقوم بتحريرها نهائيا، أتمناها، وأتفرغ لها بعيدا عن الجميع، أتمنى أن أراها حرة رغم الدميتين المفسدتين، لحظة واحدة فقط بين الموت والحياة.

وأقلع بزورقى الحربى فى اتجاه الريح العاتية التى أحبها حبا للقتال والثأر للدمار الملحق بالديار، وعبر الجانب الآخر من البحر والنهر أتمنى لحظة واحدة أخرى مستحيلة ولكنها غالية غلو الديار.

سأرحل بعدها إن لم أحقق الهدف من اللحظة الغالية فى اللحظة المناسبة، وسأترك كل شىء للتخريب والتدمير، للتعاسة والشقاء.. للدمار والهلاك، وللموت والفناء بأيدى الأعداء والأصدقاء.

ثلاثة أعوام من البؤس والعذاب، من اليأس والبغضاء، وشباب تلك الأرض البائسة اليائسة يتمزق على أخدودها فى كل مكان بدون الآهات، ولا الأنينات فى الأودية، وفوق أعلى القمم من الجبال.

يتجرح من وخز الأشواك، ويذوب من شدة الانفجارات والأصوات المرعبة من الطائرات والدبابات والمدرعات والمدافع بالهاونات، وأنا أسير تائها، وأودع الوديان، وأحبس الأنفاس.

وعلى واد من الأودية السحيقة، أعدد آهاتي الساخنة، وأحد أنفاسي المولمة الموجعة رثاء على الأموات من الشهداء، وعند كل تل من المرتفعات والمنخفضات أرى أشباحا تخرج من الأودية والآفاق.

وعند كل منعطف، وعند كل منحن أقول: سيظهر بطل من أبطال الجهاد والنضال خلف هذا المنعطف، أو ذلك الاعوجاج، سوف يطل الآن لإنقاذ الأوطان من الأوثان.. يتمزق فكرى، تتعذب نفسى.

صدرك حقل من الألغام أتمدد فيه، ويتمددون فيه، نساء ورجال، أطفال وشيوخ.. لا يهم، كل الوجوه لها عيون كبيرة أو صغيرة.. ترى وتبصر، ولا ترى ولا تبصر، الكل يدرى ولا يدرى.

وجوه شقراء، ووجوه سوداء، ووجوه سمراء، وحتى وجوه بلا لون ولا شكل.. ولكنها وجوه، ووجوه تتجه نحو الشرق، وأخرى تتوجه شطر الغرب فى إصرار ووجوم، وفى همة أجل من الدهر.

صدر الأرض ! لماذا أنت يا صدرى، أنت وحدك مصيبتى أنا وحدى، وأنا بعيد عنك مسافات، وقريب منك بالمشاعر والإحساسات، أركض فى الزحام من حيث لا أدرى إلى حيث أجلس وأدرى.

أجلس فجأة على التل الكبير من الذكريات المرة الحلوة، فوق منعطف من الذكريات العذبة الحانية الغانية، وأنفجر بالضحك، حتى البكاء للشوق واللقاء عند كل صباح ومساء، لماذا أنت وحدك تقف فى طريقى.

من أكون بعدك.. طفلا متشردا.. شيخا فانيا.. مجاهدا مناضلا.. وإلى متى؟ دمية فى يد دب، لماذا؟ إننى أحسد الدمى الطليقة فى واجهة مخازن السلاح، أتمنى أن أكون مكانها أنا لأفدى بروحى ودمى.

وأحسد أجنحة النسور الطائرة بحرية بحثا عن الفريسة، وعن وسائل الصيد والدفاع فى ربيع حياتها المتطورة على الدوام، من أكون أنا.. نسرا من النسور؟ ليتنى أكون كذلك، لأمزق الدمية فى يد ذلك الدب.

إننى طالما استيقظت فى أعماق الليل المظلم الذى لم أملكه، وبحثت عن الخنجر الذى لا أملكه، استيقظت وبحثت عن الخنجر لأقطع به تلك الخيوط اللامرئية التى يمسك بها الدب، ويلعب بالدمية الدميمة.

تلك الخيوط اللامرئية والمرئية التى تجر سفينتى من واد إلى واد، تجرح صدر الأرض ولحمها فوق الصخور بعبث التدمير المذهل المرعب على أيدى عدد من الدمى الدميمة القبيحة.

ملابس النساء من الفساتين تليق به، وهو يحب الأحذية ذات الكعب العالى، وهو يحب الجلوس على مقعد وثير.. كل شىء بين يديه.. هل تحب الأساور من الذهب لستر الوجه الممسوح بالدهن الكريه؟!

اطلب يا ببركنا، يا دميتنا الحبيبة.. يا عميلنا الحقير.. هل لك مطلب فى أشياء أخرى من هذا النوع الخاص بالحريم، أو من ذلك اللون والجنس الذليل، لتكون فى مأمن من الأذى بعد التنكر والتنكير الذميم؟!

سيدى الدب، يا والدى ووالد كل عميل.. إننى أحتاج إلى ماكياج من الشال والأقراط والشعر المصنوع من شعور الخنازير والدبب والأسود، وإلى أساور من الذهب للحماية من فتك الجماهير،ومن جهاد الإسلام،والمجاهدين.

أريد هذه الأشياء من لوازم الماكياج بسرعة يا أمين المخزن اللئيم، أريدها بصورة عاجلة لأن عميلنا المخلص "ببرك" بن الدب واقف على الباب فى الانتظار خوفا من الفتك به من الأفغان فى بلاد الشجعان.

نريد يا رفاقى، ونرغب فى أن نفرح بالعميل الثالث من العملاء الثلاثة، نريد أن نفرح به وبأولاده الذين هم أيضا فى انتظار أدوارهم التى تنتظرهم بدورها فى الجاسوسية لحساب الدب المكار.

إلى أين يركض العالم اليوم؟ أين أنا من ذلك العالم الحر، ومن ركضة الخيار؟ إنه يندد بما شيده وبناه بالغدر، ويهدمه وهو بداخله يتقوض ويطلب صارخا الرحمة من الغفار.

إننى انهيار.. إننى انهزام، كنت سيدا بالمال، وبالغدر والخيال، بالماكياج.. بالشال والأقراط وبالباروكة المصنوعة من شعور الدب والأسد والخنزير، وبالأساور المغشوشة المطعمة بماء من الذهب.

إننى ثعلب، فأين الدب ؟.. دخلت التاريخ من أضيق الأبواب.. بالخيانة والجاسوسية، بالغدر ونقض العهد للأسياد، ليس لى مكان بين الأحرار فوق صدر الأرض من أرض الأفغان الأخيار.

تعاقب الأيام أيامى، وتعاقب شعوب الأرض فعلتى النكراء، تعذبنى، وتمزقنى بعنف بلا رحمة، بلا هوادة، وفتية من الفئة المؤمنة تعمل لرد الكرامة المهدورة، وطرد الطغاة من أرض النضال الفيحاء.

إننى جنون بعينه، وأوراق الجنون فى عواصف الثلج الأبيض الأبرد، وفى وحشة الأيام والألوان فى الظل الكثيف من الدخان الممزوج ببرد الثلج وحر النار فوق الجبال السوداء البيضاء من النور والنار والدخان.

ببرك الطفل الأحمق يعطس بشدة لشدة البرد، وقسوة اليأس، وعنف الصدمة، ورعب القبر، ولبلاهة الروس الأنجاس، وغباوة الدبب، لا معين، ولا مغيث فى الطريق إلى مواجهة مصيره المحتوم من عدالة الأرض والسماء.

وقفة حائرة شديدة الوقع، وشديدة التأثير فى القلب والعقل، فى دولاب عمره القصير، سيحمل رأسه المجوف بين راحته، وستجف يده المرتجفة دموع الندامة والخيانة فى عالم الغدر فوق صدر الأرض البيضاء الناصعة.

الدمية التى يلعب بها الكبار، والعروس المزيفة التى يلعب بها الأقوياء، يشترون لها الفساتين والحلى من الذهب وفقا لأذواقهم، يتحتم عليها أن تعيش على مزاجهم، ووفقا لمطالبهم، ورغباتهم السوداء.

صدر الأرض يخفق، وصدر السماء يضطرب لهذه الدمية الذميمة، وذلك الدب اللعين اللذين يفسدان فى الأرض فسادا، ويسعيان فى الأرض خرابا ودمارا، فكان ذلك الإعصار المخيف المهلك من الكبير الأكبر الديان.

لا تعثوا فى الأرض مفسدين، ولا تسعوا فى صدر الأرض فسادا وهلاكا، ولا تبغوا للأمم والأقوام موتا وقتلا وفقرا، كان جزاء كل ذلك جزاء سيئا مخيفا مهينا، لا من عدالة الأرض فقط، بل من عدالة السماء أيضا.

فى صدر الأرض شيء، وفى أعماقى شيء، شيء ما يتحرك هنا وهناك.. موجة حائرة، إعصار مخيف، ريح صرصر مرعب من الهول الشديد، شيء ما يتحرك، يتحرك على الطريق، وعلى الطريق تنمحى معالم الطريق.

يركض عالمى إلى شيء ما، على صدر الأرض وفى النهار مع موجة حائرة، ويبقى الليل.. ولا شيء غير الليل، يحتفظ بكلمة السر.. الولد البنت الذى كان بالأمس يلبس الفستان.. المرأة التى كانت بالأمس حقيقة حية.

تنسحب من كيانه الخائن الزائف، تنسحب من حياته الخادعة بوقفة واحدة.. بوثبة واحدة بدون تفكير أو تقدير، كل شيء انتهى، بحيرة ودهشة، تلك البداية، وتلك النهاية، دون حد فاصل.. صورتان لا غير.

عندما أصل إلى هذه النقطة الحساسة أرى شبحين وهميين من الأشباح الوهمية، يعزيني أنين مكتوم محموم مبطن ببطانة ما من الاستغراب مع الاستيعاب، ذلك الأنين الشديد الأليم الذى يشعر به خائن من العملاء.

يعزيني ذلك الأنين المهين الذى يحس به عميل خائن تسقط على صدره المنفوخ كتلة ضخمة كجلمود من الصخر حطه السيل الدافق من عل، حيث يقف الموت المرعب أمامه، وأمام الحياة قاب قوسين أو أدنى.

إذا، يجب عليه فورا ودون مكث أو انتظار أن يقف ويطل داخل ثقب الإبرة، أو سم الخياط، ريثما يتسنى له ليشرح حياته.. حياة الغدر، ويفسرها تفسيرا تفصيلا لتتضح الفضيحة، وتنكشف مساوئ الغدر.

وإن لم يفعل ذلك كذلك فالعودة إلى ملكوت النسيان، والشك والتردى فى الأحضان، فهو أرحم وأحسن لمن كان على شاكلته من الخونة والعملاء الذين ضاق عليهم صدر الأرض، ويطاردهم العدل جزاء للغدر.

المقهى دار المشردين والمتشردين من الخونة والغدارين فى حى من أحياء كابل الوديعة الهادرة، أجلس كنقطة صمت رهيب، فى شبكة من الحلقات المتماسكة من الضوضاء حولى وحول المقهى من التشرد، والتشريد.

البيت من خلفى بجوار المقهى مسكون بأشباح الأرامل البائسات، وفى المذياع أغنية: أنا أرملة باكية بلا أصوات، بلا أحياء، يا لها من كلمة حروفها يتيمة، ومعانيها حزينة، وصورتها مكونة من البؤس والآلام.

أتأمل الدمع من وراء الحجاب، من خلف الجدران، فى وهن ساخن تارة، وفى عنف قاس تارة أخرى، صدر الأرض، بل صدرى من زجاج شفاف، وعيناى من غرق، وقلبى من خفقان، توقفت الأرض، ولا تتوقف الآلام، ولا الأحزان.

فمن أنادى، ومن أستغيث، ومن أنتظر، وطاقاتى المحدودة تتمزق على صدر الأرض، بل على وجه الأرض، فأنا منهك أركض بلا حراك، بلا طاقات، بلا زمان، بلا مكان، ولكنه يجب اتخاذ القرار، بلا مهلة، ولا تأخير.

أندفع بقوة دون تفكير ولا تقدير، القيود لا تنكسر إلا بقوة الاندفاع، ستنكسر غدا.. بالأمس حرب، واليوم حرب، وغدا حرب، حطم كل القيود، كسر كل الأساور، وارم كل الفساتين، حارب بلا تردد، بلا شرط، بلا رحمة.

كن حربا.. كن حرا، ولو لحظة، ولو ساعة.. يوما.. سنة.. للأبد، أنت ليس فى مقدورك إرضاء الكل، وإغضاب الكل، كن حربا.. كن حرا على صدر الأرض، عليك إغضاب الرئيس.. ارم الورقة فى وجهه البائس المنحوس.

شىء تافه، بل أتفه من التافه، أن يربط العالم الأوراق، لا يهم بقدر ما يغضبك الناس.. بقدر ما يكرهك الناس، بقدر ما يحبونك، ويحترمونك، وسيرضى الرفيق الرئيس غدا، لا يهم، كن خافقا، كن كالورد على وجه الأرض.

شكرا لك يا من كنت وطنى، يا من كنت صدرى، وما زلت، فقد علمتنى أن أمتلك نفسى للأبد، إننى أتحسس الجدران، لأننى والساعة الثرثارة فى الظلام، بل لا أنا، ولا الساعة كذلك، كلانا فى ضياع ونضال.

جدة - عام ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣م

١٧- يا أمة الإسلام

فى غمرة هذا الزحام من الأحداث ما ذا نقول، وما ذا نحكى، ونفوسنا تتلظى بنار الألم والحسرة الخاسرة، وتتمزق ألما ووجعا عن إخوة لنا فى الإسلام والإيمان والوطن، لا حول لهم ولا قوة إلا من كلمة الإيمان، والرسوخ الشديد فى الإسلام، أليس لهم حق على المسلمين بحق الإسلام؟!

إننى - يا أمة الإسلام - قد بكيت من أجلهم كثيرا وطويلا، لأننى لا أملك غير البكاء، تنغص عيشى لمرآهم جثثا هامدة، وقسمات الرعب والابتسامة واضحة على الوجوه فى آخر لحظة تركوا فيها الحياة، كانوا أبطالا، وهم يزحفون على الأرض المفروشة بالألغام المدفونة تحت التراب، وانقض عليهم الرفاق الحمر انقضاضة الضباع الجائعة الهرمة، فأصابوهم بالقنابل والقذائف، فسقطوا شهداء، وفارقوا الحياة.. وجدت الظلم يتمادى فى طريق الطغيان فى بلادنا.. بلاد الأفغان؛ وأحسست بالخديعة ترخى العنان للأحقاد، وانقلبت فى نظرى كل موازين العدالة والصداقة، فأصبحت أنيابا تنغرز فى لحوم الأفغان، وتهوى بالفؤوس المسنونة على رقاب المظلومين العزل من كل سلاح، فانهمر دمعى توجعا على أبشع مأساة عاثها الروس فسادا فى أرضنا الأفغانية.

نحن نشتط غضبا ولا نملك القدرة على التحرك للتعبير عن الغضب، لأننا مقيدون بالألاعيب! فى غمرة هذا الزحام الشديد العصيب ألا يجب علينا أن نقف مع أنفسنا وقفة صدق للحظة ونسأل أنفسنا سؤلا واحدا: لما ذا لم ننصر إخوة لنا،

ولماذا لا ننتصر على أعداء لنا بالسلاح إن كان هناك سلاح؟ نساء المسلمين وأطفالهم الرضع وشيوخهم يذبحون كما تذبح الشياة، أو يأتيهم الموت المفزع فى شكل رشاشات تحصد المئات، وتروع الآلاف حتى الممات، لم يرحم الرفاق الحمر أحلام الأطفال، وآمال الآباء، وأمانى الأمهات، ولا يزال العالم يترقب سيولا أخرى من غزير الدماء، ومع هذا نتشدق بالإسلام، ولا نقوم لنصرة المسلمين، فكيف يجوز لنا أن نطمع فى النصر، أو فى الانتصار من رب النصر القهار؟! لما ذا لا ينصرنا الله؟ لقد وعد الله المؤمنين بالنصر المؤزر، ما ذا يعنى ذلك؟ ألسنا من المؤمنين؟ ألا تشملنا العناية الإلهية بالنصر المؤزر؟ الواقع يقول ذلك.

هؤلاء المخادعون الذين ملئوا الدنيا ضجيجا باسم الإنسانية، لا يعرفون الإنسانية، بل لا علاقة لهم بالإنسانية، وإن كانوا ينادون بها بلا حياء ولا استحياء، هؤلاء المخادعون منافقون لا يعتقدون بأن المسلمين بشر كسائر البشر.. ما ذنب هؤلاء الملايين من المسلمين فى **أفغانستان** المسلمة يفترشون الأرض وزمهرير البرد يشتد، ولم يعد فى موقد النار وعد أو عهد، لا لم يعد فيه جمر، يحتويهم الليل والمجهول الرهيب، والجمر الشحوب، يمقتون الأعداء والأصدقاء.

إخواننا فى بلاد الأفغان تتلظى أنفسهم بنار الألم فى موقد الحرب فى جيوب الليالى الموحشة التى يشتد فيها زمهرير البرد، وتجبو فيه أفاعى الشر ممسكة بأجسادهم، يتمزقون توجعا وبأسا وبؤسا فى تلك الأكواخ المفروشة بالخيال، لا هم من أتباع الصليب ليقوم العالم الصليبى لنصرتهم، أو تقديم العون اللازم لهم، ولا هم فى العروبة من شىء ليقوم العالم العربى بوضع الجبيرة، وشد الضماد على

جراحهم باسم العروبة، ولا هم من أتباع الماركسية لتقوم براثن الشيوعية بانتشالهم باسم الشيوعية العالمية، ولا هم من أصول بوذية ليقوم العالم البوذى بتأييدهم وتآزرهم، ولا هم كلهم من الطائفة الشيعية ليقوم النظام الشيعى بمآزرتهم باسم التشيع، إن الإخوة الأفغان مسلمون صادقون ليس لهم نصيب من التشيع والبوذية والشيوعية والعروبة، ولا هم فى شىء من الصليبية النصرانية، ولا هم من ذوى الاتجاهات الغربية الإباحية، أو من ذوى الاتجاهات الشرقية الإلحادية، اتخذوا من الإسلام الصادق طريقا لهم، رضوا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد قائدا، ولا ذنب لهم سوى ذلك.. الشيوعيون فى العالم يتلقون العون الفورى باسم الشيوعية العالمية، وكنتيجة للتعاون اليهودى العالمى تشكلت الدولة الصهيونية فى الأرض الإسلامية المغتصبة، وسيل من المساعدات لا ينقطع عن الفلسطينيين باسم العروبة من جهة وباسم الشيوعية من جهة أخرى، واللبنانيون يتمتعون بالمساعدات الوفيرة باسم العروبة من جانب وباسم الصليبية من جانب آخر، وأهل التشيع فى كل من إيران الجارة الغربية للأفغان، ولبنان وسوريا يتعاونون مع بعضهم البعض باسم التشيع.

من للأفغان - غير الله - المسلمون مقيدون بفضل الألاعيب السياسية والاقتصادية، والشيوعيون أعداء، والبوذيون أشد عداوة للذين آمنوا، والبعد بين الأفغان والعالم الصليبى هو البعد بين الأرض والسماء، والتعصب الطائفى معروف فى إيران، فمن للأفغان غير الله؟! يا أمة الإسلام!

استيقظت **أفغانستان** المسلمة قبل ثلاث سنوات خلت على هدير كريه مرعب لم تتعوده، وعلى لغة لا تعرفها، ووجوه يسبقها الموت فى كل مكان من بلاد

الأفغان، وتفرق الشمل، وعاث الروس فى الأرض الأفغانية فسادا وخرابا، حرقوا الزرع والضرع، وشردوا الملايين من المسلمين الأفغان تفترش الأرض الباردة الساخنة، وملأت المخيمات فى كل مكان، وسيول من الدماء تتدفق، وتتدفق عبارات الاستنكار كوابل الأمطار، والرياح الباردة تعزف نشيد الموت فى المخيمات كل صباح ومساء، ولا يزال العالم يترقب سيولا أخرى من الدماء، لأن كل شىء فى العالم الإسلامى هادئ.. بعض الأقلام تكتب، وبعض الألسنة تخطب، والرياح تعوى، والأكواخ أو الخيام الحقيرة على الحدود ما زالت تستقبل أفواجا من الهاربين بدينهم من جحيم الشيوعية.. والذى حدث فى **أفغانستان** لو حدث فى دولة غير مسلمة لقامت الحرب، أو لكان الشأن غير الشأن، والشعوب الإسلامية فى الحرب الدائرة بين الشعب الأعزل والروس من الرفاق الحمر ساكنة لا تتحرك حتى وصل الأمر ببعض العرب أن ينكر على المجاهدين جهادهم ضد الاحتلال الروسى لبلادهم! والأمر الذى يؤلم كل مسلم حقا هو لما ذا لم تتخذ منظمة التحرير الفلسطينية موقف عتاب على الأقل من الاحتلال الروسى للأرض الأفغانية والقتل المتعمد للشعب الأفغانى، وتشريده عن وطنه؟ هل نفعها هذا الصمت المؤيد للروس فى طردها من بيروت؟! إن روسيا الحمراء تقوم بنفس الجرائم التى تقوم بها إسرائيل فى فلسطين!

يا أمة الإسلام! مسلمون فى **أفغانستان**، ومسلمون فى الفيلبين، ومسلمون فى الهند، ومسلمون فى إريتريا، ومسلمون فى كشمير، وشعوب إسلامية أخرى فى أجزاء أخرى من هذا العالم المتلاطم بالآلام، أما بالنسبة لهذه الشعوب الإسلامية المضطهدة فى دينها وأوطانها فلا داعى ولا باعث للتحرك العملى المؤثر، ولا داعى

- بالتالى - للتعاون معها لأن الدول الإسلامية مقيدة بالألاعيب السياسية، فالمسلمون - يا أمة الإسلام - فى حلقة مفرغة.. ذبحهم كالشياة، تعذيبهم كالمجرمين، وطردهم من بلدهم كالمعتدين أمور عادية ثانوية تعالج بالكلمات والتبرعات والتكهنات والتنديدات.. دول الصمود العربية (الإسلامية) كما تسمى نفسها، لا تخجل من شعوبها المسلمة تقف أمام الدول والشعوب مع الرفاق الحمر مع روسيا المجرمة لتؤيد احتلالها **لأفغانستان** المسلمة، وهذه العجوز الشمطاء الهندية البوذية تقوم لتؤيد هذا الاحتلال وتباركه، وهذا العجوز فى إيران يعلن الجهاد فى لبنان وسوريا لأجل قلة من أهل التشيع ولا يتحرك أبدا لجرائم الرفاق الحمر والمجازر التى يقومون بها تحت بصره وأمام عينيه فى الدولة المسلمة **أفغانستان** المتآخمة للحدود الشرقية الإيرانية.. آلاف من المسلمين أصابهم عدو الله وعدو الإنسانية فى **أفغانستان**.. دمار وهلاك وموت.. جوع وبؤس ومرض.. تعاسة وشقاوة وحرمان.. تشريد وتطحين وتدفين.. قهر وتسلط وحرب.. كذب وتدخل وإبادة جماعية، كل هذا وأكثر من هذا يفتك بالوحشية بالمسلمين فى **أفغانستان**.. تدمير مدن وتدمير حياة حاق بأرض المسلمين فى **أفغانستان**، والدول الإسلامية - يا أمة الإسلام - لا تشعر بالمأساة.. بل لا تريد أن تدرك واقعها وأبعادها.. إنها غائبة فى لهو الحياة، وفى لهو الطعام والشراب، حتى صار طهى الطعام وإعداد الشراب مهنة لبعض الناس وهواية للآخرين من الآكلين فى بطونهم نارا.

نعم - يا أمة الإسلام - هناك كتاب يدافعون بقوة بأقلامهم وبكتاباتهم، ولكن يدافعون عن ماذا؟ عن الحقوق القومية الإقليمية لاعن القضية الإسلامية،

ولاعن القومية الإسلامية الشاملة، وهم – لذلك – يصرخون فى أودية قفرة من رمال الصحراء يسبون العدو ومن يناصره من غرب أو من شرق، وأحيانا يتجاوزون هذه الحلقة المفرغة من القومية الإقليمية ويضعون الصور والحلول كأنهم رسل العناية الإلهية لخلاص الشعوب فى كل مكان، ولكن فكرهم وأقلامهم لا تتجاوز الإطار القومى المرسوم، أو الإطار السياسى المنشود، وفرق بين من يحيا للبناء بالدماء، ويشارك الخلق ويزرع للغد، ويمهد للأجيال من عالم الإسلام وبين من يحيا لذاته الضيقة الصغيرة، وفى غمرة هذا الزحام من الشمولية والذاتية ماذا نقول لأمة الإسلام ونفوسنا تتلظى بنار الألم وتتمزق.

دوار حى الجامعة بمدينة جدة

السبت١٤٠٣/٣/١٧هـ = ١٣٦١/١٠/١٠هـ ش = ١٩٨٣/١/١م

١١- حبيبتي

حبيبتى.. حبيبة الأحلام يلفها الغموض والرموز، وتكتنفها الكبرياء والتعالى، وحبها حب غريب فى نوعه، وودها ود عجيب فى شكله، تشدنى الأشواق النارية إليها لو بعدت وارتحلت عن تلك الديار، وأحس باللهفة الساخنة المحرقة لو سافرت بعيدا عن دنيا الآلام والجراح، فكم رأت عيناى من جمال وكمال وجذب فى تلك الحبيبة التى استحوذت على عقلى، وعلى إحساسى بسحرها الغريب، ماسكة عابثة بأغوار الأشياء فى داخل أعماقى.

ترحل بعيدة - وهى ثابتة - عن هذه الديار أو تلك، تجوب الصحارى والقفار فى الأجواء، تتابع السير هنا وهناك، فى الليل والنهار، كم تمنيت أن أمتلك قوة "رستم" الجبار لأقوم بمدها من نهرى "كونر" و"أباسين" بماء نقى لتغسل به عينيها الحزينتين الباكيتين، ولترتوى من هذا العطش والظمأ القاتلين المدمرين.

حبيبتى: حبى لك وتقديرى يفوق الوصف، وأنا كأى محب لا أرى أى جمال سوى جمالك الساحر المؤثر، يخيل إلىّ بأن الصحراء الجرداء جنة خضراء بوجودك، والجنة الخضراء النضراء صحراء جرداء ببعدك.. ترحلين بعيدة عن دنيا الجراح والآلام، وتسرحين فى حل معادلة الأيام، كلما ابتعدت عنى قربت معك أحلامى وآلامى، أريدك واقعا جميلا، ودوما إلى الأمام، لا أريدك حلما، أو خيالا، أريد وجهك الجميل الشاحب الممتلئ بتجاعيد الحزن، وبآثار الحيرة، أن تعمه الابتسامة والفرحة الممزوجة بالسعادة.

حبيبتى: هل تسمعين وأنت بعيدة عنى؟ إن كنت تسمعين فافهمى جيدا: أننى لا أريد لشموعك المضاءة ليلا ونهارا أن تنطفئ، أو يخفت نورها وضياؤها، لأنها أنارت للكثير، وأصبحت كالمنار المضيء المرشد لمن تاه عن الطريق وضل.

حبيبتى: كم تمنيت لك وأنت ترحلين من تلك الديار التى أصبحت كالآثار بعد الديار، وأصبحت كالآبدات، مسكينة أنت يا حبيبتى وأنت ترحلين وفى أعماقك أنات مدفونة، وآهات خفية، وابتسامتك باهتة محزونة، تستقرين فى صمت مرعب، وسكون مخيف، فى هدأة الليل تتساءلين.. لمن الحياة؟ فيا حبيبتى.. سألتك بالله، وتوسلت إليك، وكلى أمل وخشوع: لا تيأسى، واليأس ليس من شيمة المكافحين المحبين، واكبرى بلا غرور، وتحدى الزمن بلا فخر، ووزعى حبك الكبير، وودك الأصيل بينى وبين الآخرين من الأكباد التى تمشى على الأرض، ولا غرابة فى ذلك، فأنت حبى وحبهم، كما أننا جميعا حبك أنت وودك أنت، وأنت أجل وأعذب من الحب والود الشديدين.

حبيبتى: تعودين بعد رحلاتك المعذبة المؤلمة، تحملين أدق المقيت، تتساءلين كل الأشياء عن كل الأنواع.. من الحب والود، والكراهية والبغضاء، كما يفعل ذلك الأطفال الأبرياء، أفضولية أنت يا أحب الحبيبات الصغيرات، أم جدية أنت فى تلك الآهات، والأنات فى تلك الرحلات من البعد والعذاب؟!

حبيبتى: يجتاحك غموض عادم يتوارى حياء خلف الأعماق، فدعى الأيام تتشابك، والأغصان تتمايل، والجراح تتماسك، فإن المسئولية هائلة رهيبة، والمستقبل غامض مرموز، والحب فى حاجة دائما إلى شيء من التفاؤل والتشاؤم، ومن الخوف والرجاء والأمل.

حبيبتى: لا تبكى من أجلى.. لأننى وحيد وبائس، إننى أحبك.. أشتاق إليك، أعيش لأجلك، وأضحى من أجلك، دموعك عندى أغلى من الحياة، وأصعب من الفراق.. امسحى دموعك، وانسى آلامك، أريد أن أراك، وأرى ابتسامتك العريضة، على محياك العريض الجميل، لا تخافى ليالى الفراق، سيأتى يوم التلاقى، ونكون معا فى السراء والضراء، نعيش معا بلا أشواك، بلا عقبات، بلا فراق.. أحبك، وأنت أملى فى الحياة، وفى الممات.. لقد تاهت الكلمات منى فى بحر عينيك الجميلتين، مهما جرتنا الأيام وفرقتنا، سنكون معا نتحدى الأيام والأعوام، ونتخطى الأشواك، ونعيش معا فوق بساط من الحب والود، ومن الصفاء والنقاء، ومن الوئام فى الأحلام وفى يقظة الأيام.

جدة – الأحد

١٤٠٣/٣/١٨هـ = ١٣٦١/١٠/١١هـ ش = ١٩٨٣/١/٢٠م

١٩ - أفغانستان ومؤتمر عدم الانحياز

كان انعقاد المؤتمر السابع لقادة عدم الانحياز فى العاصمة الهندية قبل أكثر من شهر حدثا هاما بالنسبة لجميع دول العالم، وخاصة بالنسبة لدول عالم الثالث، وبالأخص **لأفغانستان** إحدى الدول المؤسسة لحركة عدم الانحياز، وكان الشعب الأفغانى يعلق على هذا المؤتمر آمالا عظيمة. وقد جسدت حركة عدم الانحياز عند ما قامت لأول مرة تطلعات دول العالم الثالث التى كان معظمها حديث العهد بالاستقلال، كما جسدت آمال الشعوب والأمم التى كانت ما تزال تناضل فى سبيل تحريرها من نير الاستعمار والتبعية، إلا أن المؤتمر فد خيب آمال **أفغانستان** التى كانت من دعاة هذه الحركة.

وعلى الرغم من مضى مدة غير قصيرة على المؤتمر الأول لقادة حركة عدم الانحياز فإن أسماء الدول التى دعت إليها، وأسستها لأول مرة من أمثال إندونيسيا والهند و**أفغانستان** ومصر ويوغسلافيا، ما تزال ماثلة أمام العيون وفى الأذهان باعتبارها الدول التى حددت مبادئ الحركة لمواجهة سياسة الأحلاف والتكتلات، وللدفاع عن استقلال دول العالم الثالث، وعن حقوقها فى الحرية، وتقرير المصير، وقد قفز عدد دول أعضاء الحركة الآن حتى وصل إلى ما يزيد على مائة دولة، وتضم فى عضويتها اليوم عددا من الدول لا تنطبق عليها صفة عدم الانحياز، ومن تلك الدول الهند وكوبا اللتان تتزعمان الحركة من وراء ستار الشيوعية العالمية.

ومما يؤسف له حقا أن حركة عدم الانحياز اتجهت فى السنوات الأخيرة - بضغط من الشيوعية العالمية وعملائها - اتجاها انحيازيا شيوعيا، نظرا للظروف التى واجهتها، والتحديات الكبرى التى استهدفت بكل قوة وإصرار زعزعتها وتفريق

صفوفها، وإبعادها عن مبادئها، وعلى رأس عملاء الشيوعية العالمية ابنة زعيم الهند الراحل نهرو أحد دعاة الحركة، وكاسترو رئيس وزراء كوبا العميل، ونتيجة لهذه العمالة فشل مؤتمر دلهى فى اتخاذ قرار خاص بالقضية الأفغانية، ومن المعروف أن **أفغانستان** دولة مستقلة من دول عدم الانحياز، تتمتع بالاستقلال والحرية الأزلية، تعيش الآن فى ظل احتلال وحشى على يد دولة شيوعية كبرى تدعى دائما بأنها تؤيد الحركة، وتساند مبادئها، و لم تتمكن دول عدم الانحياز برئاسة تلك الهندية الشمطاء، وبتأييد من ذلك الشيوعى الكوبى العميل المتعفن، من دعوة الممثلين الحقيقيين للشعب الأفغانى للاشتراك فى أعمال المؤتمر، أو المطالبة الصريحة بجلاء قوات الاحتلال الروسى من **أفغانستان** إحدى الدول المؤسسة لحركة عدم الانحياز، وإذا عدنا إلى الوراء لنتذكر كيفية انطلاقة الحركة، لوجدنا أن قادة العالم الثالث قد تنادوا إلى إنشاء هذه الحركة لتساعد دولهم على الحفاظ على استقلالها وحريتها، وعلى عدم التورط بالانتساب إلى إحدى الكتلتين الشرقية والغربية، ومن هنا انتهجت الحركة فعلا نهجا استقلاليا حرا نقيا نظيفا اكتسبت احترام العالم كله، وأسهمت فى تطوير السياسة الدولية العالمية إسهاما طيبا بالنسبة لقضايا الاستعمار والعنصرية.

أضف إلى ذلك العامل العدائى للهندية الشمطاء الذى تكنه للإسلام والمسلمين، فقد انتقمت بالأمس من المسلمين بتقسيم أكبر دولة إسلامية إلى دولتين صغيرتين، وهى تنتقم الآن من دولة إسلامية أخرى من الدول العريقة فى الحرية والاستقلال، بتأييد الاحتلال الروسى لها، وهذه المواقف العدائية لهذه السيدة الشمطاء ليست جديدة ففى آسام الهندية نفذت المذابح الجماعية للمسلمين على مرأى ومسمع من حكومتها التى لم تتحرك قبل وقوع المجزرة، وقد كان الخطر

متوقعا وهى تعلم ذلك، ولكنها لم تتحرك، وكانت نتيجة ذلك استشهاد ثلاثة آلاف مسلم، وتشريد مائة ألف، وإحراق تسع وعشرين قرية للمسلمين فى ولاية آسام الهندية، وكان شهر فبراير سنة ١٩٨٣م بالنسبة لولاية آسام الهندية من الشهور الدامية التى اختلط الدم الإسلامى بالنار الهندوسية، تحولت فيها قرى المسلمين ومساجدهم إلى محارق وركام، ومذابح تحوم فوقها الطيور الجارحة والنسور.

وتتحمل السيدة الشمطاء مسئولية كافة المشاكل التى تعانى منها الهند، لأنها عجزت عن تقديم الدعم للشعب الهندى بطوائفه المختلفة، كما عجزت عن تلبية حاجاته الضرورية للتعايش السلمى.

وفى الأيام الأخيرة قد أزيح الستار فى الهند عن معركة جديدة بين السيدة غاندى وزوجة ابنها الراحل سانجابى التى قامت انديرا غاندى بطردها من العائلة قبل حوالى عام خوفا منها.

وأبناء طائفة السيخ فى الهند يطالبون أيضا بالاستقلال الذاتى فى ولاية البنجاب غرب الهند، ويشكون بأن حكومة انديرا غاندى تعاملهم على أنهم مواطنون من الدرجة الثانية. كل ذلك نتيجة طبيعية لما يأتى:

١- الإحباط السياسى والاقتصادى والاجتماعى

٢- العداء الطائفى السافر والإهمال الحكومى البالغ

٣- العامل القبلى المستحكم ومطالبة الاستقلال الذاتى

٤- حوادث الشغب الطلابية واستغلال الشكاوى والمشاعر العدائية

كانت الهندية العجوز فى طريقها إلى الزوال إلا أن انعقاد مؤتمر عدم الانحياز قد أنقذها من الخطر المحدق عليها، كما أنقذها من المشاكل الداخلية الرهيبة التى

تواجهها حيث ستسعى جاهدة وبكل قواها السياسية إلى تحويل انتباه واهتمام الشعب الهندى الذى يعانى - بالإضافة إلى ما مر - من الجوع والجهل والمرض، عن القضايا الداخلية التى تثير جدلا كبيرا فى الهند بطوائفها السياسية والاجتماعية المختلفة.

أما بالنسبة لحوادث آسام التى أسفرت عن مصرع ثلاثة آلاف مسلم، وتدمير عدد كبير من القرى والمساجد، وتشريد الآلاف من المسلمين، فإنها بعثت برسائل شخصية إلى المسئولين فى ٣١ من الدول الإسلامية تنعى فيها اغتيال المسلمين فى حوادث آسام خلال الانتخابات التى جرت فى فبراير عام ١٩٨٣م، وقد جاء ذلك بناء على ما تردد فى دلهى بأن سفراء الدول الإسلامية قد أعربوا عن قلقهم على إثر هذه المذابح التى تعرض لها المسلمون فى آسام الهندية.

ونحن إذا قارنا العصر الذهبى للحركة بوضعها الراهن برئاسة كل من كاسترو العميل الشيوعى، والسيدة انديرا غاندى العجوز الشمطاء العميلة الشيوعية، لوجدنا أنها ابتعدت تماما عن مبادئها وأهدافها، واتخذت مسيرتها نحو الشرق الشيوعى، الأمر الذى من شأنها أن يهدد مستقبلها. ومن ذلك يبدو بجلاء ووضوح المسئولية الجسيمة والخطيرة الملقاة على قادة الحركة، وعلى الهند خاصة بصفتها الرئيسة الحالية للحركة، ومن هنا يجب على الشعب الهندى العريق أن يفكر جيدا فى مصيره الاستقلالى، وفى مصير حرية الهند العظيمة التى تلعب بها هذه العجوز الشمطاء، وقد ألقت بالهند وبالحرية والاستقلال، وبحركة عدم الانحياز التى ترأسها فى أحضان الشيوعية، وذلك فى سبيل الحصول على سلاح أحمر بدلا من البحث عن لقمة العيش للشعب الهندى الذى يفتك به الجوع، وسوء التغذية، والحرمان.

ومهما يكن من شيء فإنه من الضروري بمكان أن تعود الحركة إلى مبادئها الأصلية إلا أن ذلك ليس بأمر سهل ميسور، فالحركة في حاجة إلى التطهير من العملاء من أمثال السيدة انديرا غاندى، والعميل كاسترو، وغيرهما من الشيوعيين الذين يخدمون الشيوعية العالمية باسم حركة عدم الانحياز، ومن غير ذلك من المتعذر إن لم يكن من المستحيل أن تقوم الحركة بدورها في السياسة العالمية.

صحيح أن الحركة خرجت من المؤتمر بما يسمى بوحدة الصف، ولكن هل خرجت بقرارات موحدة بشأن القضايا الكبرى الخاصة بالعالم الثالث؟ فهل يجوز للمراقبين السياسيين أن يقولوا: إن مؤتمر حركة عدم الانحياز في العاصمة الهندية الذى تمكن من المحافظة على وحدة الصف في الصورة الظاهرية، قد بلغ أهدافه بشأن الاحتلال الروسى **لأفغانستان**، أو بخصوص الحرب العراقية الإيرانية، أو غير ذلك من القضايا الكبرى في العالم الثالث؟ إن المؤتمر برئاسة تلك العجوز الشمطاء، قد أظهر عجزه وعجز الحركة عن اتخاذ قرارات حاسمة، أو توصيات قاطعة إزاء القضايا الكبرى المدرجة في جدول أعماله، ومرد كل ذلك إلى تلاعب الشيوعيين والعملاء الذين يتسترون من وراء الحركة، ويقومون باستغلالها لتعاضد المواقف الاستعمارية الروسية الحمراء، وينحون في سياستهم منحى يتماشى مع اتجاهاتها الاستعمارية. إن روسيا الاستعمارية تحتل عددا من الدول الإسلامية منذ زمن، وقد احتلت **أفغانستان** حديثا، وهى أحد أعضاء الحركة، ومع هذا لم يجد أحد من المؤتمرين الجرأة الكافية للتفوه بكلمة يطالب فيه روسيا الاستعمارية بالجلاء عن تلك البلاد الإسلامية، وبالأخص عن **أفغانستان** الضحية الحديثة للاستعمار الأحمر. وهكذا لم يتمكن مؤتمر دهلى من معالجة القضايا الملحة الرئيسية كالقضية الأفغانية، والحرب العراقية الإيرانية معالجة تتفق وخطورة هاتين القضيتين، وينطبق

القول نفسه على بقية قضايا رئيسية أخرى فى العالم الثالث، وتوصية المؤتمر بشأن القضية الأفغانية لم تكن فى مستوى أهمية هذه القضية، أو فى مستوى الرغبة الملحة لمجموعة دول لعالم الثالث، وفقا للمبادئ التى يجب أن تسير عليها الحركة، ويلتزم بها الجميع، وهى الحفاظ على استقلال الدول الأعضاء فى الحركة، وتمكين الشعوب من حقها فى تقرير مصيرها بنفسها، وعدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول الأخرى.. وهكذا أظهر المؤتمر برئاسة تلك الهندية الشمطاء العجز الواضح عن مواصلة السير فى الاتجاه السليم المبنى على مبادئ عدم الانحياز.

صحيح أن المؤتمر قد أثار نقطا إيجابية بتبنيه مشروع السلام العربى الموحد بشأن قضية الشرق الأوسط، وبتأييده قرارات الدورة الأخيرة للمجلس الوطنى الفلسطينى، وبمطالبته بانسحاب القوات الإسرائيلية من لبنان، وبتأييده حق شعب ناميبيا فى تقرير المصير، وأعتقد أن الفضل فى ذلك لا يرجع إلى المؤتمر نفسه، بل إلى التأييد الظاهرى الذى تبديه روسيا نحو هذه القضايا من ناحية، ولأن المسئولين فى الحركة الفلسطينية يدورون فى الفلك الروسى من ناحية أخرى.

نحن لا ننكر ذلك، لأن ذلك صحيح، إلا أن الآمال العظيمة التى كانت تعلقها شعوب العالم الثالث على هذا المؤتمر، قد باءت بالفشل، و لم يتحقق منها شىء يستحق الذكر، لأن مؤتمرا عظيما فى مثل هذه الأهمية لم تتمخض عنه قرارات فى المستوى المطلوب.. والفضل يرجع فى ذلك كله إلى الشيوعية العميلة، والشيوعيين العملاء.

الخميس – جدة

١٤٠٣/٧/١هـ = ١٣٦٢/١/٢٣هـ ش = ١٩٨٣/٤/١٤م

٢٠- الوداع المر

إن الوداع من أشد اللحظات وطأة، وأتعسها كآبة، وأشقها على النفوس المستودعة والمودعة سواء بسواء، إن موقف الوداع والفراق من أقرب المواقف مخاطبة للحس الإنسانى، وأسرعها إثارة للشعور البشرى، لا يدانيه فى ذلك أى موقف آخر من المواقف المماثلة. ولعل وداع الوطن والأهل والأحبة أشدها وطأة، وأكثرها ألما، وأعمقها أثرا، وأعظمها لهبا، إذ أن رنة الحزن العميق التى ترافق المستودعين والمودعين فى لحظات الرحيل المر، والوداع الأليم تؤجج فيهم نار الشوق، وتنفث فيهم لهيب الحب والود، وتثير فيهم ما كان ساكنا فى الأعماق، وتجعلهم نهشا لموكب الذكريات الحلوة العذبة، ولا يفيقون من تلك الإغفاءة والسكرة إلا وأكف المودعين والمستودعين تتصافح بحرارة، وأعينهم تذرف الدموع بغزارة، وأنفسهم تتراقص تراقص الطيور المذبوحة لتوها.

لقد جربت مثل هذه المواقف المؤلمة المحزنة المرة مرات، أشدها تأثيرا وألما وتوجعا مرتان.. بالأمس البعيد.. عند مغادرة الوطن والأهل والأحبة والخلان، وبالأمس القريب، يوم الأربعاء عند فراق الأقرب من الأعزاء الأحباء الأصفياء الأخيار، وفى المرتين من المواقف المؤثرة العميقة المرة كانت الدموع الساخنة تتدفق من سحابة أعيننا لترتوى بها حقول الخدود الطافئة..

نعم! بالأمس يوم الأربعاء.. يوم الوداع والرحيل المر كانت الدموع الدامية تتدفق بشدة من العيون الذابلة لتتخذ مجراها إلى الخدود الطافئة الحائرة.. كنا نبكى بكاء مرا فى الأعماق حزنا على الفراق بين الأحبة الصغار والكبار، ووسط دموعنا المنهمرة فى سخاء وخفاء كان الوداع، وكان الفراق، ثم كان الرحيل المر!

وقد أثار ذلك الوداع، وهذا الرحيل جراحا عميقة فى نفسى، لأنه أثار بذلك الفراق ألما دفينا فى أعماقى، كنت أحسب أن الأيام قد دفنته، بعد أن مضى عليه وقت من اللقاء الجميل، ولكننى كشفت يوم أمس.. يوم الوداع والرحيل أن الجرح الدامى ما زال حيا فى الأعماق، فكانت الآلام، وكانت الدموع البريئة فى المحاجر السوداء كالهالة حول القمر..

أيتها الدموع فى محاجر الإنسان ما أبرك بالإنسان التاعس مثلنا! ما أعظمك أيتها الدموع المنهمرة المتدفقة، وما أرحمك فى مثل هذه المواقف، لمثل هؤلاء البؤساء أمثالنا! كانت أيام السعادة الغامرة البريئة، ولحظات الشعور الصادق بالسعادة الناطقة قصيرة! أيتها النفس العاجزة عن تحمل آلام الفراق والتفارق، ليس لك غير الصبر، وغير الصبر غير مجد.. أيتها الدموع، وأيتها النفس.. إن مشاعرى جريحة دامية، وهى تتطاير وراء الأحبة طيوف الأحلام، وتتضارب فى أغوار روحى كالأشواق الحائرة نحوها ونحو الصغار، إنها لمحة وفاء، ولحظة وداع، ونظرة فراق، وابتسامة أسى عميق فى نفسى، أضحك والفراق بحزنه، والوداع بوفائه يملأ قلبى بمشاعره الجريحة، أحاول إخفاء شقائى بالمصابرة، وأتحمل الهموم، وأنا مثقل بالحزن والأسى بسبب الوداع والرحيل المر الذى يشطر قلبى شطرين واضحين، يتميزان ويمتدان بشكل واضح مبين، ورأسى لا يزال مثقلا بهموم الأمس، وبأحزان البارحة فى لحظات الوداع، ونظرات الفراق، وساعات الفصال والمفارقة والرحيل المر.

أما هى فكانت كبيرة القلب والعقل، كما كانت كبيرة الحنان والشفقة، كانت تتطلع إلىّ وأنا متألم من كسور أصابت قلبى وعقلى.. وكل مشاعرى وأحاسيسى نتيجة لهذا الوداع المر، لقد أحسست بعد هذا التطلع المعبر المؤثر، وبعد

هذه النظرة المعبرة المؤثرة فى لحظة الوداع أنها تفترش لى جناحا ذليلا من الرحمة، ووعدا مطعما بالأمل القوى بالعودة واللقاء، وهى أكبر منى حبا ووفاء، والحب الكبير، والوفاء الجميل مع الأصل النبيل هو الذى تتداعى أمامه كل الصعوبات والفوارق.

أقبلت علىّ من مكانها - وقد جفت لوعة القسوة، وحرقة الدمعة فؤادى ومشاعرى وعواطفى - وقالت - وقد جذبتنى نحوها بعذوبة نغمها - أتسمع آهاتى كالوردة البنفسجية الراقدة؟ لا يجب أن نستسلم لآلام المفارقة، وهمومها المؤلمة المهلكة القاتلة، إننا سرنا على الشوك حتى وصلنا إلى الورد الأبيض، وعلينا ألا نتركه ذابلا.. ومن هذه اللهجة العذبة الملتهبة شعرت بوعد أكيد ينبعث من قسمات وجهها الملتهبة.. وعد خافت أكيد يختلط بباقة ذابلة من الورد الأبيض، وأمل عاشق تعب من كثرة السفر والترحال، وقد أصبح ذلك لديه مهنة اضطرارية يمارسها تحت الضغط بعد أن ضاع الوطن، وضعف الأمل، واقترب اليأس والقنوط من القلوب والأفئدة الجريحة.

الإنسان فى غير موطنه ومنبته يشعر بضيق شديد، وملل كبير فى مثل هذه المواقف الصعبة، واللحظات المؤلمة، والآهات البنفسجية الراقدة، بل إنه يحس بانعدام وزنه إذا كان يسبح فى فلك غير فلكه، وفى النهاية يفتقد ذاته فى اتزانه وتوازنه مهما كان حجم الرقعة التى يستوى عليها، ومهما كان الحصاد الذى يجنيه، إن كل ذلك لا يمنحه الاستمتاع والإمتاع حين يفصل بينه وبين من يشتهيه، ويرجو قربه فاصل من زمان، أو فاصل من مكان.. إن الإحساس بالغربة يتساوى فيه ذلك المسافر إلى البعيد حيث يتراكم فى خاطره جليد الحنين والعودة، أو الوعد

الخافت بالعودة، وذلك المستودع الذى يستشعر أنه فى عزلة بعد الفراق بالفاصل المكانى أو بالفاصل الزمانى الذى يفصل بينهم.

أيها المسافر العزيز الغالى الذى حانت ساعة رحيله المر، ها أنت تعاود النظر إلى الوقت فى معصمك الأيسر، ثم تقلب النظر فى أطراف المكان الذى أنت مفارقه بعد قليل، إن السفر فراق، والفراق موت، والموت حياة جديدة، لقد حانت ساعة الرحيل، ولحظات الفراق، والحياة بعد الموت، و لم تعد تملك - أيها المسافر- إلا أن تغلق باب هذا المأوى، وأن تحاول فتح باب ذلك المأوى، لم تعد تملك غير الهجرة.. هجرت الوطن، ثم هجرت الحبيب، ولكن إلى قلوب وأكباد تمشى على الأرض فى ذلك المأوى الآخر الذى حملتك إليه الضرورة الملحة، أيها المسافر إلى البعيد، لقد حانت ساعة الرحيل وساعة الوداع!

أتسافرين يا زهرة القلب؟ قالت: إنى مسافرة! ولكن لماذا هذا الحزن العميق يا زهرة الفؤاد؟ قالت: إنى أخاف الفراق! وجاءت اللحظة الأخيرة.. لحظة الفراق والجفاف، وقد اصطدمتها معادلة معقدة بدرجة كبيرة من الصعوبة والتعقيد، صيغت بأسلوب فيه تورط وتشنج، فقالت: يشدنى الرحيل شدا، ولكن هذه المرة لا أطيقه رحيلا طويلا بعيدا عن الأرض، وبعيدا عن الود، الذى لم أشعر بمثله من قبل! قلت - بنبرة الواثق من العطف والحنان: أهروبا أم تشاؤما وخوفا؟ قالت: نحن معشر الأفغان لا نعرف شيئا اسمه التشاؤم أو الخوف، بل إنه مجرد حنين إلى نبتة جديدة تشق سطح القلب تطل بحياء وطفولة بريئة لتعانق شرانق الضياء.

وفى لحظة الوداع كادت صورة منى ترتسم أمام عيونهم بشفافية عذبة، وقد انقلبت الكلمات من أفواههم حاملة كثيرا من الانفعالات والدهشة، تلت ذلك مجموعة من الحركات الانفعالية اشترك فيها الجميع.. مسافر وخافق معذب،

وذكريات لم تنم فى الخواطر.. وقلوب حزينة جريحة كان فى إمكانها لو بقيت فى مكانها مزهرة مطمئنة مرتوية بالحنان، أن تمنح عطاء فوق التصورات والتوقعات.

محمود وهناء.. ذلك الطفلان المدللان كانا كالعقل الدافئ يرددان: كم يضيق عمرنا وأملنا فيه بذلك الممر المستطيل فى درب الحياة المضطربة، وفى دروب الفراق المؤلمة المحزنة!؟ ثم قالا بألم أشد: فلنفترق وداعا!

قلت بألم أشد: وداعا يا صغارى، ذكرياتكم الجميلة كالورد الأبيض باقية فى قلبى، وداخل كيانى، لن أنساها أبدا ما دمت حيا. هم مع أزيز الطائرة المتوجهة إلى القاهرة، وأنا مع سيارتى الزرقاء المتوجهة إلى حى الجامعة بجدة، حاملا همومى وآلامى الثقيلة.

عدت إلى الدار والأحزان تكتنفنى اكتنافا، فوجدتها كئيبة دامعة، تجلل وجهها الأحزان.. أمن قسوة الآلام أم من فرقة الخلان؟ انهضى وكفكفى عن عيونك دموع الأشجان، أزيلى يا دارى أشواك الفراق عن طريقى المفروش بالأشواك، وازرعى الدروب بأزاهير النرجس، وشقائق النعمان، زينى الدنيا بالشموع وأنوار الشمعدان، أزيحى عن جدرانك مرارة الحزن الأسود، واطردى ذلك الدخان الساخن الصاعد من النوافذ من حرقة القلوب والأكباد، وامسحى فؤادك القاسى بالقطن الأبيض، واستقبلى فؤادى البائس بالورد الأبيض.

يا دارى! ما أحلى الجلسة فيك مع البراعم، وما أروع النوم فيك بين أحضان الأزهار المتفتحة.. فقد جفت لوعة قسوة الوداع، وحرقة دمعة الفراق، ولسعة فرقة الأحباب كل مشاعرى، وأحاسيسى! كونى لى يا دارى عبارة الشكوى، ووسيلة السلوى، وكلمة التقوى، وقطرة الدواء، وبلسم الوفاء والشفاء، واغسلى أثقال قلبى المثقل بماء الورد الأبيض.. بالقطن الأبيض.. واخبرينى يا دارى ماذا

فعلت بالبرعومة الباقية، أين هى؟ قالت بوضوح: إنها تنهل العلم من منهل العلم، فكان الصراع بينى وبين الدار والأحزان.

رقصت الدار وهزت طوابقها الحزينة السوداء، وأسدلت حجراتها حولى تظللنى، وأنا أسبح فى بحور الوحشة الرهيبة، سرت على الشوك حتى وصلت إلى الليل، وكلما حل الدجى سرق الشوق النوم من عينى.. وانهمرت الدموع الساخنة من ضباب الحزن لتكشف غمة الألم من الأعماق.

وغرفة الاستقبال ستبقى من بعدكم مغلقة خاوية، لن تستقبل أحدا، وهذه الكتب ستبقى صامتة مغلقة حتى تعودوا سأنتظر صابرا حتى أرى الدنيا نورا وضياء.

بالأمس الحزين كنت هكذا.. كنت فى وداع أعز الناس إلى أعز الناس، لذلك كان الوداع مؤلما ومحزنا، وهواجس إحساسى بالفراق مازالت تؤرقنى فى اليقظة والسكرة، وتنفث فى رئتىّ المنفوثتين أحزان الحب التى تحرقنى، وأنغام الصوت الجميل، ونغمات الحديث العذب، ونبرات الحوار الشيق تنساب عذبة فى مسمعى كاللحن، وإيحاءات الود والحب تقتلنى، ثم تقتلنى، والصورة المتكونة من كل ذلك مازالت عالقة فى ذاكرتى.. أرى فيها لون البشرة، وصدق الابتسامة، وإصابة النظرات، والثقة الكاملة مع الاعتزاز بالنفس.

يعود الحزن إلى أعماقى داخل كيانى رهيبا مروعا كأشباح الطريق ساعة الوداع، ووقت الرحيل المر، وتجف فى عينى حياة الندى، لا شىء أقوى من الفراق لحظة الوداع، أنا هنا ومع الراحلين.

جدة – حى الجامعة

الخميس١٤٠٣/٧/١هـ =١٣٦٢/١/٢٦هـ ش=١٩٨٣/٤/١٤م

٢١- جهاد في أفغانستان

جهاد الشعب الأفغانى فى **أفغانستان** المسلمة جهاد بطولة وصمود وإيمان، هذا الصمود البطولى الذى يقوده الشعب الأفغانى المسلم بسلاح الإيمان والعقيدة الإسلامية الراسخة يثير إعجاب العالم، كما يثير دهشة الطغاة والمجرمين، هذا الجهاد البطولى الذى يقوم به الشعب الأفغانى المجاهد البطل يثير حقا الإحساس بالأمل والنصر المؤزر بإذن الله.

شعب مسلح بقذائف الإيمان، وبمدافع العقيدة، وبذخيرة التكبير، وبصواريخ الحق، يواجه قوة شرسة فى طغيانها وعدوانها، وفى جرائمها البشعة فى الإرهاق والإحراق، ضد المجاهدين الذين يعيشون فى ظروف من أصعب الظروف، بعيدا عن قراهم ومدنهم مع قليل من الزاد يذيقون قوات الاحتلال الروسى المرارة بضراوة، ويوقفون فيالقها بشجاعة نادرة، ويتصدون للطائرات والدبابات والمدافع والقنابل الحارقة بصبر وجلد، ويدافعون عن ثغر من ثغور الإسلام بشجاعة ومصابرة ورباط.

كان المحتل الروسى وأعوانه من الخونة العملاء يظنون أن جيش الاحتلال قد نشر جنوده المسلحين بالأسلحة الفتاكة، وقد تمكنوا بذلك من السيطرة على هذا الثغر الإسلامى من أرض الإسلام،، وبالتالى قد تمكنوا من الحد من هجمات الفدائيين المسلمين، إلا أن المجاهدين الأفغان قد جعلوا من الأرض الأفغانية جحيما لهؤلاء جميعا بشن هجماتهم الفدائية فى كل مكان من هذه الأرض.. أرض الفداء،

كلما ظن المستعمر الروسى أن جنوده قد حدوا من هجمات المجاهدين، إذا بالمجاهدين الأفغان الأبطال يشنون هجمات أشد على العاصمة التى تتمركز فيها قوات الاحتلال الروسى، وإذا بالمفاجأة أشد دهشة فى قوة الهجوم والتسديد، وفى شدة توجيه النيران التى يطلقها نفر قليل من المجاهدين الصابرين الذين قدموا حياتهم فداء للإسلام، واحتسبوا أرواحهم دفاعا عن الوطن، وباعوا أنفسهم جهادا فى سبيل الله، ورووا بدمائهم الطاهرة شجرة الإسلام فى ثغور الإسلام فى تلك الديار.

إن هذا الهجوم المؤثر الذى نفذه المجاهدون الأفغان فى العاصمة الأفغانية كابل - يأتى بعد قرارات اتخذتها لجان المجاهدين المختصة بالاتحاد فى جبهة إسلامية أفغانية واحدة تقود جهاد الشعب الأفغانى المسلم، ونضاله المرير ضد الاحتلال والطغيان والظلم والاستبداد، وضد الشيوعية الدولية التى تحاول القضاء على العقيدة الإسلامية فى البلاد الأفغانية.. لتتمكن من ضمها إلى الحظيرة الشيوعية.

إن التكتيك البارع الذى يتبعه المجاهدون الثائرون، وسيطرتهم على المناطق الريفية، والطرق الرئيسية فى جميع أنحاء **أفغانستان**، وإلحاقهم الهزيمة والإرهاق بقوات الاحتلال الروسى لدليل قاطع على أن المبادرة الهجومية ما تزال فى يد المجاهدين، وكان التركيز فى الهجوم الأخير على ثلاثة أهداف فى كابل حددها الثوار الأفغان بدقة متناهية، وهى قلعة "بالا حصار" العسكرية التى يستأثر بها الروس، وكان الهجوم الموجه إلى هذه القلعة الحصينة بالصواريخ ومدافع الهاون، واستمر أكثر من خمس ساعات، والهدف الثانى للهجوم المجمع السكانى

"ميكروروبان" الذى يضم فى جنباته شخصيات بارزة من الحزب الشيوعى، والمستشارين الروس، ويتمتع بالإجراءات الأمنية المشددة جدا. وكان الهدف الثالث مبنى الإذاعة والتليفزيون الأفغانى. وكان هجوم الثوار المجاهدين على ثلاثة مراكز رئيسية فى كابل متزامنا مع هجمات ثورية أخرى فى أقاليم ومناطق أخرى فى أنحاء **أفغانستان** المختلفة، وهذا دليل آخر على أن المبادرة الهجومية فى يد الثوار الأفغان الذين يوجهون ضرباتهم المؤثرة إلى قوى الاحتلال الروسى فى الوقت الذى يحددونه وفقا لبرامجهم المدروسة.

و تقوم قوات الاحتلال الروسى بتدمير القرى والمدن الأفغانية، وبإحراق المزارع والحقول والغابات، بحيلة الانتقام من المجاهدين الأفغان، وقد جعلتها بذلك خالية خاوية، وشردت الملايين من المدنيين الأفغان ليعيشوا مهاجرين لاجئين فى الدول المجاورة.

والشعب الأفغانى الثائر يخوض معركة غير متكافئة.. قوة كبرى تواجه بكل عتادها وأسلحتها ونيرانها وأعوانها شعبا أعزل إلا من الإيمان والاعتماد على ربه، ومع هذا كله فإنه يواصل جهاده وصموده، ويلحق الخسائر الفادحة بعدوه الشرس، ويتخذ قرار المبادرة لشن الهجمات العنيفة على أهداف العدو داخل العاصمة كابل فى وضح النهار وأناء الليل، ويضرب أروع الأمثال ضد كل معتد أثيم، إنه معجزة هذا القرن أن يقف شعب أعزل أمام قوة تملك أقوى الأسلحة من الذرية وغيرها، إنه معجزة الإيمان بالله، وبالمبادئ السامية.

المطلوب: إن هدفا عظيما ساميا ينهض به الشعب الأفغانى الأبى فى مواجهة الأعداء - على جانب كبير من الضراوة لا يمكن أن ينهض به هذا الشعب مهما بلغ من الشجاعة والإقدام والتضحية والفداء، فالشعب الأفغانى المجاهد فى حاجة إلى الدعم الحقيقى فى كل المجالات السياسية والعسكرية والإعلامية ماديا ومعنويا حتى يرتفع الإحساس بخطر ما يجرى فى **أفغانستان** المناضلة إلى الحد الذى يجعل رد الفعل الإسلامى والعالمى حاسما وفعالا مؤثرا. والله غالب على أمره.

جدة - مساء يوم الجمعة

١٤٠٣/١١/١١هـ = ١٣٦٢/٤/٢٧هـ ش = ١٩٨٣/٨/١٩م

obeikandl.com

٢٢- الصعود إلى جبل شموند

الصعود إلى الجبل والنزول منه من ألعاب الطفولة البريئة النقية التى مازالت ذكرياتها الحلوة عالقة يتردد صداها فى جنبات ذاكرتى مع ما فيها من البؤس واليأس، ومن الجوع والحرمان، ومن قسوة الأيام، وفتك المجاعة الخرساء بالصغار والكبار.. ومع هذا فإن كلمة "شموند" وذكريات الطفولة فيها أعذب كلمة، وأعظم ذكريات ترن فى أذنى، وترتل فيها أجمل آيات الذكريات من الأيام الخوالى.. كلمة جميلة، وذكريات عظيمة على الدوام، تثير الأحاسيس والعواطف. و"شموند" بقعة مباركة تتلاقى فيها الجبال الشامخات، والسطوح المنبسطات، كما تتلاقى فيها مياه الأنهار ومياه العيون.. وتركت فى التاريخ الحديث ذكريات خالدة ترمز إلى وجودها التاريخى بالشهامة والشجاعة، وبالبطولة المباركة..

كنت صغيرا.. طفلا من أطفالها وصغارها، شأنى فى الطفولة والصغر كشأن غيرى من الأطفال الصغار فى "شموند" التى أصبحت الآن خالية من السكان، خاوية على عروشها، لكثرة ما وقع فيها من عمليات القمع والبطش، ولقسوة ما دار فيها من المعارك الدامية، والضربات القاضية بين شبيبة الإسلام وبين العملاء من الشيوعية العميلة.. لا يقطن فيها الآن إلا عدد قليل لم تتهيأ له أسباب الهجرة واللحاق بالمهاجرين الآخرين من أهلها..

كان المطر أو الأمطار تتساقط بغزارة، وبخاصة فى موسم الربيع، والشمس تطلع وتغيب، والأمطار لا تنقطع ولا تتوقف.. وفى كل يوم من أيام موسم الربيع

عند ما تتهيأ الشمس لرحيل المغيب، وتنسل خيوطها الصفراء برفق من قرية "شموند" التى تربض كالأسد على شاطئ نهر "بيج" وسط الجبال الشامخة، كأنها تعانق الجبال، وتنام فى أحضانها على نغمات مياه النهر الذى يحيط بأكثر أطرافها من بعيد أو من قريب فى مثل هذه الأوقات تزداد الحركة، وتنشط الحياة، ويشتد السباق بين حركة القطعان، واستقبال الصبيان، وغروب الشمس، وذلك قبل أن تغمر الوادى ظلمة الليل، وقبل أن يطلع القمر المنير، وتتلألأ القرية المتنامية فى أحضان الجبال المتشابكة بنوره الفضى، وكذلك قبل أن يمضى الأطفال ليلتهم فى نوم عميق، بعد تحمل المشاق فى عملية استقبال القطعان من المعيز والأغنام.

و"شموند" قرية صغيرة، بيوتها متواضعة، متلاصقة بعضها ببعض، لا يفصل بينها فاصل، شوارعها ضيقة إلا أنها تتمتع بحيوية وبحركة دائبة. تحيط بالقرية أشجار التوت الوارفة، وتكثر فيها أنواع أخرى من الأشجار كالبلوط والزيتون والصفصاف، تتمايل كأنها تزهو بجمالها وثمارها، وعلوها. وقد منحها الله تعالى - بالإضافة إلى ذلك - كثيرا من مظاهر الطبيعة كجمال الزهور، ورائحة الورود، ونضارة الحقول، واخضرار المروج، وطيب الهواء، والنهر الجميل الذى يكمن فيه الرزق والحياة، والروعة والجمال..

ومناظر الطبيعة من حولها أخاذة تريح الناظرين، تفتح آفاق النفس للتأمل بالنسبة للكبار، وللمرح والفرح بالنسبة للصغار والشباب.. فالتلال المحيطة يكسوها العشب الأخضر الذى استنام للمطر، فأصبح كبساط الحرير الأخضر، والرياح تحرك فروع الأشجار وأغصانها فتتمايل فى دلال ووقار، وفى تلطف

وتدلل. بين هذه الطبيعة الأخاذة، وعلى مدى قريب من الجبل منازل صغيرة متواضعة تتناثر هنا وهناك، فوق التلال الزمردية، وبين تلك المروج الخضراء دون زحام إلى درجة الاختناق، تلك هى منازل قرية "شموند" المتناثرة، الجو فيها هادئ ساكن، لا يصل إلى درجة الأصوات الصاخبة المزعجة، تتناهى إلى الأسماع أصوات الطبيعة كنغمات جميلة هادئة، تحرك المشاعر والأحاسيس، وتثير الحركة والنشاط فى الصغير والكبير، يشارك فى العزف على أوتارها حفيف الهواء، وخرير الماء، وشقشقة العصافير، وتغريد البلابل، وشدو الطيور.

كان فجرها شقشقة العصافير، وعصرها أصوات الأسراب من قطعان الأنعام والمعيز والأغنام ممزوجة بضجيج الأصوات من أفواه الصبيان المستقبلين، ومغربها نغمات النايات والمزامير، وأول ليلها هدوء وسكينة، ونوم هانئ، وآخر ليلها صلاة وخضوع، دعاء وخشوع.

وتقع دارنا المتواضعة فى أقصى الطرف الجنوبى لقرية "شموند" المطل على الميدان الصغير الذى يستقبل فيه صبيانها أسراب القطعان النازلة من الجبل، والمقبلة على القرية. وهذا الميدان أو الساحة الصغيرة تشرف على الحقول الخضراء التى تملك أسرتنا بعضا منها.

ومنزلنا دار متواضعة للغاية، تتكون من ثلاثة طوابق.. الطابق الأرضى مخزن ليس به إلا باب واحد ضيق، وشباك واحد أضيق، مخصص للمواد التموينية.. كالغلال، والعلف، والخشب، والتبن، والسماد، والطابق الثانى مقسم إلى جزئين..

قسم منه لقضاء موسم البرد فى الشتاء، وقسم آخر يستخدم كحظيرة للبهائم والمواشى من الأغنام والمعيز والأنعام. وأما الطابق الثالث فلقضاء موسم الربيع والصيف، وكل طابق من هذه الطوابق الثلاثة عبارة عن غرفة واحدة واسعة، تلحق بها غرفة أخرى كمدخل للغرفة الرئيسية..

ونحن أطفال القرية نخرج من منازلنا، ونتجه جماعات وفرادى إلى سفح جبل "شموند" لاستقبال الأسراب من قطعان المعيز والأغنام الراجعة من مرعاها فى المساء، ونقضى لحظات الانتظار فى اللعب والمرح فى سفح الجبل صعودا ونزولا، ونتمتع فى نشاط وحيوية بلعبة التزحلق والانزلاق فوق ألواح الصخور الملساء الناعمة بسبب كثرة تزحلق الأطفال التى يرجع تاريخها فى القدم إلى تاريخ بناء القرية. ونكرر هذه اللعبة الشعبية المحببة إلى قلوبنا حتى يحين وقت وصول القطعان قبل غروب الشمس، فنسرع معها فى فرح ومرح إلى منازلنا، وبعد أن تتم عملية الاستقبال، ووصول المواشى إلى المنازل، والاطمئنان على دخولها بالسلامة إلى المآوى أو الحظائر، نتأهب نحن الأطفال استعدادا للتوجه إلى مسجد القرية للقيام بأداء صلاة المغرب جماعة بصحبة الكبار والشباب من الإخوة والآباء..

هذه اللعبة المحببة التى قد تطورت واتخذت لها شكلا روتينيا، والتى كانت عناصرها الرئيسية مزيجا عجيبا من المرح والفرح والسرور، ومن السعادة والنشاط والحركة، ومن التزحلق والتعبد والتطوع، كان يتم تكرارها وإعادتها يوميا دون انقطاع، وبخاصة فى مواسم الشتاء والربيع، فى مراحل الطفولة، وفى أوائل مرحلة المراهقة المبكرة من حياتنا فى قرية "شموند" وفى سفح جبلها المنحدر..

هذه الذكريات مازالت عالقة بذهنى وفكرى وذاكرتى بكل ما فيها من الجمال والآمال، ومن المرارة والآلام.. وتزداد هذه الآلام فى صدرى شدة وولعة عندما أتذكر ما جرى لهذه القرية الصغيرة الهادئة على أيدى الشيوعيين الخونة من التدمير والتشريد، إن مهد الطفولة الذى قضيت فيه عهد الصبا والطفولة البريئة يعيش الآن أيام الرعب والقهر والقلق، وأنا عنه بعيد.. يراودنى حلم العودة التى تملأ نفسى بالأمل الكبير.. أذكر من رفاق الطفولة والصبا شقيقى "سيد" رحمه الله، الذى كان أصغر منى سنا، وأكبر منى ودا ووفاء.. نصلى فى مسجد القرية معا، ونتعلم فيه معا، ونلعب معا، ونخرج لاستقبال معيزنا وأغنامنا معا، ونعمل فى الحقل معا، ونقوم برعاية المواشى وتربيتها معا.. سال دمعى بحرقة، وتساقط فوق خدى بغزارة، وتمزق قلبى من الألم بقسوة عندما وافته المنية (رحمه الله) وهو مريض بالتيفوس الذى قد أصابنى قبل أن يصيبه، ولكن الله شفانى منه بفضله وكرمه، وكان ذلك فى أواخر موسم الشتاء وفى أوائل موسم من مواسم الربيع الذى ينتشر فيه مرض التيفوس(المحرقة) بشكل وبائى خطير، يموت فيه عدد كبير.. لست أذكر على وجه التدقيق ذلك التاريخ الذى حدث فيه ذلك، لقد انصرفت عن تدوين المذكرات، وأهملتها منذ زمن بعيد، حتى لا أكاد أذكر منها إلا ظلالا ضعيفة باهتة، ومع هذا فإن صورة شقيقى "سيد" تعيش حتى الآن فى حافظة الذكريات.. وليس من ذكرى خالدة أبلغ من هذه الذكرى الأبدية..

هكذا مرت السنوات على تلك القرية، وعلى أطفالها وصغارها وصبيانها فى سعادة وسرور، وفى فرح ومرح، وفى بهجة ونضارة.. أتدرى ماذا جرى لهذه القرية.. قريتنا البهيجة الصغيرة العامرة بالحركة والحيوية، وعلى يد من من الناس؟؟

إن شوارعها خالية، وبيوتها مهجورة، حطمت أبوابها، وعملت فيها يد السلب والنهب، قطعت أشجارها، واجتثت فيها النباتات والمزروعات، والمنازل القائمة فيها آيلة للسقوط، لا يسمع فيها سوى نباح الكلاب، وعواء الذئاب، ومواء الثعالب، وأصوات القطط المتوحشة، وثغاء الشياة المهجورة، وخشخشة الحشرات، ونعيق الغربان، وشدو بعض الطيور الجارحة.. وتعيش القرية فى ظلمة الليل الحالكة التى تغمر الوادى.. فسحقا لهؤلاء الناس من الشيوعيين، ولمن معهم من العملاء، عديمى الإحساس والشعور، هؤلاء السفاكون الأوباش هم الذين دمروها، وشردوا أهلها الذين زلزلوا زلزالا شديدا، وبلغت قلوبهم الحناجر وحفرت دموعهم المحاجر، وهم يدافعون عن قريتهم، وقد أظهروا فى ذلك كثيرا من ضروب الشجاعة النادرة والصبر الجميل، ودافعوا عنها دفاع الأبطال، وأبادوا ما أعده الشيوعيون لمهاجمتهم من وسائل التدمير، وآلات التخريب، إلا أن زلزلة الساعة شيء عظيم.. فاضطروا إلى مغادرتها، واختاروا التشرد.. تحت ضغط هؤلاء السفاحين من الشيوعيين اللصوص الأذلاء. وتركوا القرية لقطعان من الذباب الكثيفة التى تهوم هنا وهناك، وأسراب من الناموس تبحث عن الناس والجاموس، أكداس كثيرة من القاذورات تعج كل مكان وموطئ من شوارع القرية، المخلفات والأنقاض تسد كل منفذ من منافذ المنازل والشوارع والأزقة والحوارى.. صمت رهيب، حزن عميق، خراب شديد، دمار وهلاك فى كل مكان من القرية.. يجرح القلب، ويأسو البؤساء، وأسراب من الجوارح آكلة اللحوم تحوم حول القرية تنهش الجثث فى هذا الجو المشحون بالتوتر والنار والدخان ..وسماء "شموند" تستقبل أعمدة الدخان الملتهبة العالية علو الجبال، تحجب الرؤية، وتزيل الصفاء..

محنة قاسية حلت بها وبأهلها، لا يقوى على وصفها الشعراء الطيعون، لم ترحم الرضع والأطفال والنساء والشيوخ، فأصبحت مهجورة من عشاقها وروادها، سيف الفجار عمل فى شهدائها عمله الدنىء. طعنات قاسية طائشة وحشية تجرح فؤاد الدهر، وتبكى عيون السماء، وترتعش لها فرائص الأرض، من المستحيل التعرف على شهدائه الملطخين بالدماء الداكنة.. فى الحوارى والأزقة الضيقة، وفى الشوارع الحزينة، وفى العراء الرهيب من حولها، ليس بجوارها غير ذلك الجبل الأصم الذى هى رابضة تحت سفحه، ليس يجديها بشىء غير الوفاء الصامت، وليس يجديها البكاء والصراخ..

أشباح تطوف الطرقات مرتجفة فى أسمال بالية، تجىء وتروح، وكأنها تبحث عن ضالة، تسلك نفس الطريق فى نفس الوقت من كل يوم، وذات يوم ترامت إلى مسامعها ضوضاء القهوة، نظرت إليها، واقتربت منها، كان منظرها لا ينسجم مع ما حولها من دمار وخراب وهلاك، ومن بؤس وجدب، موائد مبثوثة، وكراسى أنيقة، وضعت فى نظام دقيق، فى صالة واسعة، ومرتادون خبثاء، يرتدون ثيابا فخمة ومتباينة، ذات نعومة بادئة، تتنافر مع خشونة المكان، وما يحتويه من الهلاك والدمار، يرتادونها فى كل أمسية، يمارس كل منهم هوايته بعيدا عن تدخل الآخرين..

اقتربت الأشباح ومالت ناحية أول رجل من هؤلاء الخبثاء الأنجاس، يجلس حول مائدة من الموائد المنسقة تنسيقا، يرتدى ثيابا بيضاء يضع فوق رأسه طاقية

نفيسة من الفرو الأفغانى الثمين، تميل إلى اليمين قليلا، اقتربت ومالت وقالت: من أنت؟.. أأنت عضو من هؤلاء القوم يا...؟

نظر إليها الرجل فى خبث وهدوء وكبرياء، وجذب نفسا عميقا من سيجارة روسية نفثه فى وجهها، سبب لها العطس والتحشرج فى الصوت إلا أنها تغلبت على كل ذلك بصعوبة، وقالت: من أنتم؟ سألت هذا السؤال للمرة الثانية، بعد أن فتحت أصابع يدها اليمنى، وأشارت إلى الجميع متسائلة مستفسرة.. كيف نجوتم من تلك الكارثة الرهيبة التى حلت ببلدة "شموند" التى تربض كالأسد الجريح بجوار الجبل الشامخ؟

تنهد الرجل الأنيق فى خبث ودهاء، ومسح شاربيه كشوارب الشيوعيين، وفتح أصابع يده اليمنى أيضا، وتحفزت أوردة رقبته المنفوخة، وأشار إلى الجميع.. هؤلاء جميعا من شباب حزب "الخلق".. وهم هنا بعد أن قدموا لأسيادهم كثيرا من الخدمات الجليلة فى بلدة "شموند" اليوم، وبالأمس أحرقوا جارتها الكبيرة مدينة " ننكلام" ألا ترى تلك السحب وأعمدتها السوداء من الدخان الساخن فى سمائها؟!

انتزعت نفسها، وتجاهلت وجود الرجل الأنيق الخبيث، وعبرت بسرعة إلى الجهة الأخرى، ووقفت أمام مائدة أخرى يتحلق من حولها شبان تتراوح أعمارهم ما بين العقد الثانى والثالث يرتدون ملابس تناسب أشكالهم، واقتربت منهم، كانوا يتكلمون جميعا بأفواههم وأيديهم، وبحركات رؤوسهم، لم تتمكن من توجيه

السؤال إليهم، تراجعت خطوتين إلى الوراء، ثم تقدمت من جهة أخرى ووقفت أمامهم مباشرة وقالت فى صوت هادئ ينبئ عن الحزن العميق: أأنتم ارتكبتم هذه الجريمة البشعة فى هذه القرية المسكينة؟ ماذا تقولين أيتها الأشباح المنحوسة؟ أترغبين فى الالتحاق بهؤلاء الرجعيين؟ إن قتل مثل هؤلاء الرجعيين واجب وطنى، ومسئولية قومية. تقدمت خطوة أخرى وقالت: أنتم الرجعيون أيها الخبثاء، وليس هؤلاء الشهداء. فاشتد الغضب على أصغرهم سنا، وأتفههم عقلا، وأقلهم أدبا، فقام وقال: أين صاحب هذا المكان؟

اقذفوا بها خارج هذا المكان، أو ألحقوها بهؤلاء الرجعيين من أهل هذه القرية الخاوية على عروشها.. ارتفعت أصوات متضاربة.. اقذفوا بها خارجا! ما ذنبها أيها الرفاق؟ وفى تلك الأثناء ارتفع صوت الأشباح، وقالت: لا تملكون غير هذا!

ثم أقبل رجل نحيف الجسم، حليق الرأس عضو فى "الخاد" وهو المشرف المسئول على الوكر، قال بصوت ناعم: نعتذر عما حصل، وأعدكم بألا يتكرر ذلك مرة أخرى، واستدار للإمساك بالأشباح، فكانت الأشباح أسرع منه فى القضاء عليه فى لحظات معدودات، فكان مع الأرض أرضا. فارتجف الآخرون من العملاء الجبناء، وزمجروا فى خوف ورعب شديدين، ومع ذلك لم يتحرك أحد منهم، ثم أمسكت بواحد بعد الآخر من كتفيه، وعيناها تتفرسان فيه بحدة.. كلكم أيها العملاء الأذلاء تعرفون مأساتنا فى قرية "شموند" وفى كل قرية ومدينة من المدن الأفغانية، ولكن... ثم تركت ذلك، وكورت يدها اليمنى وضربت بها راحتها اليسرى، وحدقت فى وجوههم بحدة وسألتهم: ما بكم، ألستم أفغانيين؟

قالوا فى تذلل: نحن كذلك، نعرف كل شىء، كل ما حدث فى "شموند" من التدمير والتخريب والتقتيل، وكل ما حدث فى "ننكلام" قبل ذلك، نعرف كل ذلك وغير ذلك من الجرائم النكراء، ولكن..

صدورنا مليئة بالمرارة والقهر والغضب، إخواننا ماتوا تحت الأنقاض، رأينا جثثهم تتمزق تحت بلدوزرات الشيوعية العميلة الحاقدة، شاهدنا أفظع المذابح التى تعرض أهلنا والمواطنون فى "شموند" وفى "ننكلام" ثم فى "كيراله=كرهاله" عشنا ألوانا من العذاب والتعذيب،والقلق الدائم الذى يعيشه المواطنون فى جميع أنحاء **أفغانستان**.. قلق ورعب وخوف حتى الموت..

ناضل أهل "شموند" بكل قوة وبسالة، حتى سقطوا شهداء على ترابها الطاهر، كأننا نرى ونسمع صيحاتهم الإسلامية - نحن فداء الإسلام - تتردد على مسامعنا، ويجلجل صداها يملأ وادى "بيج" تدعونا إلى العودة، وتملأ قلوبنا بالأمل والعودة، وملامح هؤلاء الأبطال الصارمة التى رسمها القهر المكتوم على صفحات وجوههم الصارمة، وهم فى ميدان الشهادة والفداء مازالت حية مرسومة فى الذاكرة، لن ننساها أبدا، تغمر نفوسنا بأمل العودة إلى الطريق، وإلى الرشد والصواب..

❁❁❁

إن العاطفة القوية تتقد فى كل كيانى الجريح، وقلبى يبكى فى صدرى الملتهب، وتاقت نفسى إلى رؤية بيتى المتواضع، وقريتى الجميلة، تلك القرية

الصغيرة التى ما رأيتها منذ سنوات طويلة، تلك القرية الباسلة التى قضيت فيها طفولتى الجميلة رغم تعاستها وآلامها القاسية، تلك القرية الصغيرة التى كان التعاون والتراحم يسودان بين أطفالها وصغارها الذين كانوا يقضون أوقات فراغهم فى حيوية وحركة ونشاط تحت رعاية ذلك التعاون الأخوى، وهذا التراحم الأبوى، حتى إذا هبط الليل بظلامها، واختفى نور النهار بضيائه، خافت الأمهات المؤمنات على أطفالهن الصغار من السير واللعب فى الظلام، ودعت كل أم صغيرها إلى البيت ليقضى الليلة فى هدوء وأمان..

ليس من ذكرى لامعة وضاءة، متدفقة خفاقة، أبلغ وأجمل من هذه الذكرى الخالدة، الحافلة بالأمجاد.. الإسلامية والتاريخية، القتالية والبطولية، الدفاعية والهجومية، قديما وحديثا.. وإنّا إلى العودة إليها لمشتاقون، وإنّا على الفراق الدائم لمحزونون.. يمر الوقت.. والزمن والجميع من أهلى يعيشون فى لهفة العودة.. الصبية الصغار قبل الكبار، والنساء قبل الرجال، والأسرة متشتتة بين بشاور، وباجور، على حدود كونر، والسعودية، ومصر، والجميع فى شوق شديد بلا حدود للتوجه نحو شطر إقليم كونر العظيم، والتلاقى فى تلك القرية.. قرية "شموند" بجبله المنحدر، ونهرها المندفع، وأهلها الطيبين الذين أخذوا فى العودة المكللة بالنصر إليها من شتى الأطراف والبقاع، وقد هاجر الجميع، وتركوا القرية الباسلة بأهلها، وغادروا إقليمها (كونر) العظيم، فرارا بدينهم الحنيف، وحفاظا عليه، ودفاعا عنه، وللاشتراك فى الجهاد المقدس لإقامة حكومة إسلامية حقيقية فى البلاد، بعد القيام بطرد الروس الأنجاس، وعملائهم الخونة عديمى الضمير من كابل التى تعيش الآن تحت نير الاحتلال الروسى البغيض، ليقوم صغار الأطفال بإحياء لعبة الصعود إلى

جبل "شمونـد".. لعبة التزحلق والانزلاق البريئة، وذكرياتها الخالدة على مر الأيـام والشهور والسنوات..

نحس براحة بالغة عندما نتذكـر العـودة، وبـالعودة ستنفرج أسـارير وجوهنـا، وستتهلل عليها الابتسامة، وصـوت الحـق سيوقظ ضمائرنـا السـوداء، وسنسـتعيد البسالة والشجاعة والشهامة ثانية..

❁❁❁

الأشباح تضحك، وتضحك الجميع، ويتجهون جميعـا إلى مكـان آخـر، بعيـدا عن جاسوس "الخاد" الذى قضت عليه الأشباح قبل قليل.. كانت جثته ملقاة على أرض وكر الجاسوسية فى قرية "شمـونـد" الباسلة..

كان أمل العودة إلى الصواب يكبر ويخفق فى صـدر كـل واحـد منهـم، كـان الحنين إلى الأرض والإيمان بالنصر يحفز كل واحد منهم إلى العمـل لتـأكيد العـودة، ما هى إلا لحظات حتـى دوى المكـان بالتكبـير الـذى زلـزل المنطقـة كلهـا زلـزالا شديدا، وصاحوا جميعا "الله أكبر"..

كم تمنيت أن أضم فى صدرى حبيبات رمال "شمـونـد" وأن أتمرغ فى ترابهـا، كما تمرغنا ونحن صغـار، وأن أستنشـق عبـير أشـجار البلـوط والزيتـون والصنوبـر والصفصاف، وأن أقطف بيدى حبات التوت، وأجلس علـى شـاطئ النهـر لتنـاول تلك الحبات مع ماء النهر البارد..

ولكن الطريق – على ما يبدو – ما زال طويلا وشاقا إلى الحرية والعودة، والذى يريد الدخول إلى البيت لا يتردد أمام الباب، ولا يصده عنه أية قوة مهما كانت، وبالعودة، وبالوحدة – أيها السادة – يتحقق ذلك.. وهما فى الحقيقة سلم الصعود إلى جبل "شموند".. جبل الحرية.

جدة – صباح يوم الاثنين

١٤٠٣/١١/١٤هـ = ١٣٦٢/٤/٣٠هـ ش = ١٩٨٣/٨/٢٢م

obeikandl.com

وسط هذه الأحداث السياسية، والأعمال العسكرية، والصراعات الحادة، والمؤامرات الدنيئة، والمشاعر الفياضة المطروحة فى الساحة الأفغانية برز تحرك أفغانى جديد كإضافة جديدة على أرض الصراع والجهاد والنضال.. إضافة جديدة فى الظاهر على الأقل، حيث إنها فى الحقيقة مكونة من عناصر قديمة معروفة فى ساحتنا الأفغانية.. والسؤال الآن: هل هذه الإضافة الجديدة القديمة لاحتواء الموقف الأفغانى كرؤية نافذة نافعة تسعى لتأكيد الذات الأفغانية، وتنقية الأجواء السياسية لإعطاء الساحة الأفغانية مردودا مثمرا نافعا يساعد على إيضاح الرؤية، وتحقيق آمال الشعب الأفغانى، وذلك لإقرار موقف موحد يخدم القضية الأفغانية؟؟ وهل يمكن أن تقوم هذه الإضافة بقيادة ملك **أفغانستان** السابق بخدمة هذه القضية الأفغانية سياسيا ودبلوماسيا واجتماعيا وعسكريا، أم أنها تنظيم انفصالى كبقية التنظيمات الجهادية التى تقوم بأعمال فردية ضد نظام كابل العميل الموالى لموسكو؟

لقد استطاعت الفصائل الجهادية أن تؤكد وجودها وفعاليتها فى الساحة العسكرية على أرض الأفغان، وهى صاحبة التأثير الأول فى هذا المجال، فقد أشعلت النار فى جميع أنحاء **أفغانستان**، ولعبت دورها فيها بجدارة وبمهارة فائقة ضد الشيوعية العميلة فى كابل، ونجحت فى إيقاظ المشاعر الإسلامية والوطنية ضد وجود الاحتلال الروسى **لأفغانستان** إلا أنها لم تتمكن من القضاء على الخلاف، ونبذه بعيدا عن الساحة الأفغانية الجهادية، كما أنها لم تنجح كثيرا فى السياسة الدولية. والشىء المفرح الآخر هو أنها لم توزع أيديولوجياتها وانتماءاتها

وأفكارها السياسية لغير أرضها وعقيدتها الإسلامية، كما فعل ذلك الفلسطينيون الذين وزعوا تبعاتهم إلى أيديولوجيات غريبة بعيدة كل البعد عن واقعهم وعن عقيدتهم.

لقد حاول البعض لم شعث الفصائل الجهادية الأفغانية التى نذرت نفسها فى سبيل العقيدة والوطن لتنطلق المسيرة النضالية فى صورة موحدة دون تعرضها للاختلاف والتناقض، ولتتمكن من توحيد جهودها، ورفع راية النضال والجهاد المسلح داخل الأرض الأفغانية عسكريا، وخارجها سياسيا ودوليا، غير أن هذه المحاولات لم تثمر و لم تأت بمردود مثمر مفيد يساعد على لم شعث الفصائل الجهادية، فإذا بإخوة السلاح والعقيدة، وبأبناء المصير المشترك يقفون فى مواجهة بعضهم البعض، وإذا بالسلاح الأفغانى يرفع فى وجوه الإخوة الأشقاء، وكل يدعى أنه هو حامى حمى البلاد الأفغانية، ومقدساتها، وكل يدعى أنه هو المجاهد المناضل المستميت فى سبيل القضية الأفغانية.

قومى هموا قتلوا أميم أخى ❁ فإذا رميت يصيبنى سهمى

إن حوار الأشقاء الأفغان، وعلى رأسهم قادة التنظيمات الجهادية لحل مشكلة توحيد الصفوف داخل تنظيم جهادى موحد مرصوص مطلب ملح للشعب الأفغانى المناضل المجاهد البطل، إن هذا الشعب المكافح يدرك إدراكا حقيقيا أن التمسك بالخلافات الفردية على حساب مبادئ الشعب الأساسية لا يتمشى مع الأهداف الإسلامية للثورة الأفغانية، وبصرف النظر عن كل ما قيل من اجتهادات وأفكار واتهامات فى هذا الموضوع، فإن الذى لا يتفق والحقيقة الثورية أن تكون بعض الفصائل والتنظيمات الأفغانية تقود إلى نتائج معاكسة، وتتطرف بمواقفها إلى حد لا يتلاءم وصدق نضالها. نحن لا نعتقد أن هناك من يستطيع الاعتراض على

مواقف القيادات الأفغانية طالما أن هذا يحقق لها مكاسب فى المستقبل البعيد، لكن المتعارف عليه أن قوة جبهتها وتوحدها تحت سلطة واحدة، وراية واحدة هو الذى يعزز مواقفها، ويحقق أهدافها لا العكس.. إن الخلافات القائمة بين التنظيمات لا تغير ولن تغير من شيء فى مواقف الحكومة العميلة فى كابل، وفى مواقف الروس الذين يساندونها، بل إنها أعطتها مكسبا عظيما وجديدا حين أصبح التصدع والانقسام دائما ومستمرا داخل الفصائل الأفغانية.

إن القول الذى يقول: بأن الأعداء والأصدقاء لا يستطيعون معاونتنا إلا من خلال مواقفنا الواحدة، صحيح إلى أبعد الحدود، إن التنظيمات الجهادية وقادتها هى طليعة الفكر والصمود الأفغانى، ولابد أن تكون كلمتها فوق كل الاعتبارات الأخرى، وأن تواجه الموقف بشجاعة المجاهد العظيم. لقد خسر الوطن الأفغانى الكثير من آماله وأحلامه، وبقى المجاهد والمناضل الأفغانى هو الرمز الصحيح للمواقف المشرفة والكريمة، من هنا فإننا مع من ينادى بشرعية الحوار واللقاء بين الأشقاء، ونأمل أن يكون العقل هو الحكم بين الأشقاء فى حوارهم، وإن لم يتحقق ذلك فإن إضافات جديدة فى الطريق، والضياع فى الانتظار.

ما من أحد فى الساحة الأفغانية إلا ويضع يده على قلبه ترهبا وانتظارا للنتيجة التى تنتهى إليها جهود تسوية الخلاف الأفغانى داخل كتائب الكفاح الجهادية. وكشهادة للحق فإن الإخوة الأفغان فى التنظيمات الجهادية الرئيسية قد برهنوا على قدرة عالية على الكفاح والاتزان فى التعامل مع العدو، وبفضل هذه المقدرة العالية يمكن لزعماء الثورة الأفغانية القضاء على الخلاف، والاتفاق على التفاهم والتعامل مع بعضهم البعض داخل إطار وحدوى واحد، وذلك فى التماسك والتعاون الإسلامى الذى يدعو إلى الوحدة، ونبذ الخلاف.

وكل من فى الساحة الأفغانية، وكل من فى الساحة الإسلامية، ويؤمن بوحدة المصير الأفغانى، وبقومية القضية الأفغانية لا يتمنى اليوم شيئا كما يتمنى أن تكلل الجهود بحيث أن يعيد الإخوة الأشقاء تصحيح الوضع الحالى المعكوس إلى الوضع الصحيح، حتى تصبح فوهات السلاح الأفغانى موجهة نحو قوات العدو الروسى التى تحتل الأرض الأفغانية، وتتحفز للانقضاض عليهم كل حين، كما أن كل من فى الساحة الأفغانية لا يتمنى شيئا مثلما يتمنى أن تصبح العلاقات بين القيادات الأفغانية الجهادية صافية منسقة ومتعاونة فى الوقوف فى طريق احتمالات الخطر القائمة فى **أفغانستان**، فليس من مصلحة أى تنظيم أفغانى، ولا من مصلحة الأمة الأفغانية كلها أن يستمر الخلاف بينها أكثر مما استمر حتى الآن، لأن استمراره يضاعف من قيمة الخدمة التى يقدمها هذا الخلاف القائم للعدو الروسى، ويخدم خططه العدوانية، وأطماعه التوسعية فى دوام احتلاله **لأفغانستان**، ويطيل من عمر الحكم العميل القائم فى كابل.

ولاشك فى أن الإخوة الأفغان يدركون هذا أحسن من سواهم، الأمر الذى يضاعف من مسئوليتهم الملقاة على عاتقهم.. حمى الله أمتنا الأفغانية من كل سوء، وأعاد إليها حريتها واستقلالها، وأعاد فصائل الجهاد الأفغانية إلى وحدتها العضوية بتكريس ذاتها الأفغانية، لأن علاج الأزمة.. أزمة الخلاف والتباعد التى يعيشها الفصائل الجهادية فى **أفغانستان** بكل أشكالها، وبكل ما تنطوى عليه من مظاهر التباعد والتشرذم لا يكمن فقط فى ضرورة توحيد الصف، وحشد الطاقات لمواجهة التحديات، وإنما يكمن كذلك وبقدر أكبر فى ضرورة تكريس وتأكيد الذات الأفغانية كمنطلق للتعاون مع القضايا المصيرية للأمة الأفغانية ولصيانة مصالحها العليا الدينية والوطنية. وينبغى أن يكون مبدأ الالتزام بالذات الأفغانية

جوهر أى تحرك مخلص على صعيد خدمة الأهداف الأفغانية، لأن الدعوة إلى تحالف القوى الأجنبية شرقية كانت أم غربية لن تخدم المصلحة الأفغانية الكبرى، ومن المسلم به أن القوى الأجنبية لا تقدم على دعم موقف أو مساندة القضية الأفغانية إلا بالقدر الذى يخدم مصالحها فى المنطقة، بيد أن هذا لا يعنى أن نعيش بمعزل عن العالم، ولكن أن تكون العلاقات الأفغانية الثورية مع الأطراف الأخرى قائمة على أسس من الاحترام المتبادل والتقدير بعيدا عن التحالفات ومحاولات الهيمنة.

لقد عانت **أفغانستان** كثيرا فى ظل سياسة الخلافات الداخلية والخارجية، وما تعانيه اليوم لا يخرج عن كونه امتدادا لبقايا هذه السياسة التى أصبحت مرفوضة فى منطق الأحداث، ولا تتفق مع المبادئ الثورية التى تخدم الأمة الأفغانية. وليس من مصلحة أحد أن تستمر سياسة الخلافات التى لن يكون من شأنها سوى استقطاب هذه الأمة الباسلة فى اتجاهات متعارضة، ومن ثم تبديد إمكانية الالتقاء حول أهداف مشتركة تكون موقفا أفغانيا إسلاميا موحدا تجاه القضية الأفغانية.

ونعتقد أن المواطن فى كل مكان من الساحة الأفغانية قد وصل إلى مرحلة من النضج والوعى السياسى تؤهله أن يرفض عن قناعة وبصيرة كاملة سياسة التخالفات والتحالفات، لأنه يدرك أن المصلحة الأفغانية تكمن فى الابتعاد عن التحالفات والتخالفات، لأن مثل هذه السياسة لا تخدم الواقع الأفغانى، وآماله الإسلامية، وتطلعاته الوطنية والقومية الكبرى.

وهذا فيما نرى التوجه السليم والحكيم الذى يضمن للفصائل الجهادية الأفغانية توحيد صفوفها، واحترام إرادتها فى قالب أفغانى إسلامى خالص، يستوعب طموحاتنا الأفغانية، ويكفل تعزيز القدرة الأفغانية على التحرك لاستعادة الحرية

المسلوبة، ويدعم العمل الأفغانى المشترك فى مواجهة الاعتداءات الروسية على المقدسات الأفغانية، ويصون المصالح الأفغانية الثورية الإسلامية فى مواجهة الأطماع للمحتلين والعملاء من الخونة.

وخلاف الأشقاء شر يجب القضاء عليه، وإلا فلننتظر ما هو أدهى وأمر من مجرد الخلافات والانتكاسات.. مسكينة **أفغانستان**، ومسكين الشعب الأفغانى، كلاهما ضحية للأطماع، إن الوحدة بين الكتائب الأفغانية هى السلاح البتار الذى يقضى على هذه الأطماع للأعداء من الخارج ومن الداخل.

فبالوفاق والاتفاق بين الأفغانيين، وبالتضامن والتعاون والعمل المشترك بين التنظيمات الجهادية يتم تأمين وحدة الهدف، ويتم تنظيم الصفوف فى جبهة وطنية إسلامية واحدة، وشاملة لكل القوى الأفغانية، تكون قادرة على مواجهة التحديات الخطيرة التى يفرضها علينا العدو الروسى الغاشم الذى يحتل أرضنا الأفغانية، ويتآمر ضد وحدتنا الإسلامية والوطنية والقومية، إن الذين يقفون ببندقية البارود الأثرية فى وجه ألد أعداء البشرية وحشية، ليس بعسير على هؤلاء القوم تحقيق مثل هذه الوحدة إذا صدقت العزائم، وصفت القلوب والنيات. وما لم تستجب القيادات الأفغانية لمثل هذا النداء الأخوى الصادق، وما لم تبادر إلى تكريس الاتفاق والوفاق والذات الأفغانية فيما بينها، فإن أحدا فى كل هذا العالم لن يستطيع عمل شىء من أجل إنقاذ **أفغانستان** من براثن الأعداء والعملاء. إن روسيا هى العدو الأول **لأفغانستان**، ومن المؤسف أنها موجودة على أرض **أفغانستان**، وتستطيع أن تتحرك بصورة أو بأخرى، وأن تنشط عملاءها فى تنفيذ مؤامراتها الدنيئة فى كابل ما لم تقف الفصائل النضالية متلاحمة مع الطبقات

الشعبية المختلفة فى وجهها كعدو لها والوطن، إن الوحدة هى السلاح البتار الذى فى إمكانه القضاء على الأعداء، ويدفعهم دفعا على الخروج كارهين مذللين.

لقد استنسر البغاث بأرضنا الطاهرة، وأصبحت أعراضنا الوطنية والقومية تحت رحمة الصعاليك الأذلاء، وتجرأ سماسرة الرذيلة على مقدساتنا الدينية والوطنية والقومية، وأصبحت الديار الأفغانية العزيزة مسرحا فصيحا يرتع فيها الإرهابيون من حثالات الشعوب، وقشورها، يدنسون بأقدامهم القذرة حرم العقيدة الطاهرة، ويقتحمون معاقل العلم دون حياء. فهل مجد فى ذلك كله العمل الفردى الذى يقوم به كل تنظيم جهادى داخل الإطار الفردى؟؟ إن الوحدة هى الدواء الشافى لهذا المرض الخبيث.

ومتى وحد المجاهدون صفوفهم بصورة عملية، وفى جميع الميادين، وزالت الخلافات بين زعماء فصائل المقاومة حول الأساليب الواجب إتباعها واتخاذها لمواجهة الجيش الروسى الجرار فى **أفغانستان**، متى تم ذلك بصورة عملية، فإن الشعوب والدول الحريصة على حرية **أفغانستان** واستقلالها وسيادتها الوطنية ستسارع إلى تقديم المعونات والمساعدات اللازمة للمجاهدين الأفغان لمساعدتهم فى نضالهم البطولى ضد قوات الاحتلال الروسى، وفى النتيجة سترغم الروس الأنجاس بالجلاء والرحيل عن الأراضى الأفغانية، وستقام فيها حكومة وطنية إسلامية غير عميلة لأحد.

إنها لأمانة عظيمة، وثقيلة، ملقاة على عاتق القيادات الأفغانية، وهى مسئولة عنها أمام الله، وأمام الشعب الأفغانى المسلم، بل وأمام الشعوب الإسلامية.

جدة – حى الجامعة

الأربعاء ١٤٠٣/١١/١٦هـ = ١٣٦٢/٥/١هـ ش = ١٩٨٣/٨/٢٤م

٢٤- حمامات الدم في أفغانستان

حمامات الدم لإزهاق الأرواح البريئة فى البلاد الأفغانية لا ترغب فى أن تنتهى، حروب ضارية دامية فى أكثر من إقليم من الأقاليم الأفغانية، مذابح وحشية فى المدن الأفغانية، دمار وهلاك فى القرى الأفغانية، أحكام بالإعدام تنفذ فى الشوارع والميادين العامة للإرهاب والترهيب، قنابل تنفجر هنا وهناك.. فى الصحارى والقرى والمدن، اغتيالات وحشية، واعتقالات لا إنسانية بدون مبرر. لا يمر يوم واحد على هذه البلاد الإسلامية المسالمة المسكينة فى سلام أو هدوء، كأن لعنة خبيثة أصابتها فى الصميم، وأعتقد عن جزم أن هذه اللعنة الخبيثة التى أصابت هذه البلاد المسكينة هى وباء الحكم الشيوعى العميل..

منذ أن جاءت الشيوعية الملعونة ذهب السلام والاستقرار، وذهب الأمن والأمان، وسيطر القلق والاضطراب، ويعيش كل أفغانى فى بلاده فى خوف وترقب واضطراب.. الأوامر تسقط فوق رأسه كالصواعق، والقرارات مع الوعود الكاذبة تهوى عليه كالشهب، فى الوقت الذى يدفع فيه العلم شعوب العالم إلى الأمام، تقوم الشيوعية العميلة بدفع الشعب الأفغانى إلى الخلف.. إلى التخلف الشيوعى الملعون، إلى الرجعية الشيوعية الحقيرة، تنفق الشيوعية العميلة الحقيرة فى بلاد الأفغان أموال الشعب الأفغانى على الترف والبذخ فى كابل، والشعب الأفغانى يموت جوعا فى الموطن والمهجر على السواء، الثروات الهائلة التى صادرها الشيوعيون العملاء، واستولوا عليها كانت كفيلة لأن تشبع بطون هؤلاء الفقراء المعدومين، ولكن الشيوعيين العملاء وأسيادهم قد أنفقوا هذه الأموال فيما يضر ويدمر، لا فيما ينفع ويفيد.. فى الشتائم الدنيئة والاتهامات البذيئة، فى التدمير

والتخويف والترهيب.. عند مغيب الشمس تموت الحركة فى شوارع كابل، وينزل المسلحون من الشيوعيين تساعدهم القوات الروسية إلى الطرقات والحوارى والأزقة للنهب والسلب وغصب أموال الأبرياء..

يعيش هؤلاء الطغاة البغاة لإثارة الرعب والخوف والفوضى فى قلوب الآمنين المؤمنين من أهل كابل، تقضى القنابل والمتفجرات الأخرى على الأبرياء فى الشوارع والمساجد، وفى المستشفيات، والحروب الدائرة فى الشوارع لا تنتهى، ويتردد فى أرجائها دوى الانفجارات العنيفة..

يبدأ الناس بالاختفاء من الشوارع قبل الغروب، بينما يتحول لون الشفق إلى اللون الأحمر القانى، ويغطى الظلام الدامس أسوار كابل من الجبال والجدران المحيطة بها، ومن وراء تلك الأسوار يستعد المسلحون من حزب اليرجم الشيوعى العميل لصد خصومهم من التنظيمات الإسلامية المناضلة من أحياء كابل المختلفة، التى تدافع عن عقيدتها، وعن عرينها بينما لا عقيدة للآخرين، وكثير من هذه الجماعات المناضلة المقاتلة تعمل لحساب الأحزاب الإسلامية، والتنظيمات الجهادية، وكثير منها تحارب وتقاتل وتجاهد فى سبيل الله دون أى ارتباط أو أدنى صلة بالتنظيمات الجهادية الأفغانية داخل البلاد وخارجها.. جهادهم لله، ونضالهم لتحرير البلاد، وتطهيرها من دنس الاحتلال الشيوعى البغيض.. وهكذا حمامات الدم فى كابل عاصمة الأفغان لا تريد أن تنتهى، وشمس الحرية والاستقلال مازالت غائبة حتى الآن من وراء سحب كابل.. من وراء أسوارها الجبلية العالية.

جدة – حى الثغر

الجمعة١٨/١١/١٤٠٣هـ = ٣/٥/١٣٦٢هـ ش = ٢٦/٨/١٩٨٣م

٢٥ - لبيك.. يوم المشهد العظيم

بكل الإيمان، وبكل الإنابة والطهارة والنقاء، تقف جموع المسلمين على صعيد عرفة ملبين داعين الله أن ينصر أمتهم على الأعداء، ويعينهم على مواجهة الأخطار المحدقة بالأمة الإسلامية..

فى هذا اليوم العظيم يقف المسلمون هذه الوقفة الطاهرة، ليؤكدوا بأن العقيدة الإسلامية الخالدة تمثل وحدة الأمة، وتؤكد أهدافها، وتقوى عزيمتها، لأنها تؤمن بالله ربا، وبالإسلام دينا ومنهجا للحياة، وبمحمد قائدا وزعيما..

لبيك اللهم لبيك.. يوم المشهد العظيم..

لبيك اللهم لبيك تلك هى استجابتنا إليك.. اللهم إنى أسألك رحمة من عندك تهدى فؤادى وأمتى الجريحة، وتجمع بها أمرى، وأمر أمتى القتيلة، وتلم بها شعثى، وشعث جماعتى الحزينة، وتصلح بها غايتى، وغاية قوميتى البريئة، وترفع بها شاهدى، وشاهد طريقتى القويمة، وتزكى بها عملى، وعمل عشيرتى الحبيبة، وتلهمنى بها رشدى، ورشد قومى النقى، وترد بها ألفتى، وألفة رهطى النبيل، وتعصمنى، وتعصم بها موطنى القتيل من كل سوء، اللهم إنك على كل شىء قدير، يا أرحم الراحمين..

اللهم لبيك.. ولبيك يا ملة الإسلام فى بلاد الأفغان..

يقف المسلمون على صعيد عرفة يوم المشهد العظيم رافعين هذا النداء الداوى العظيم الهائل الذى تهتز لرهبته السماوات والأرضين، وترددده ملائكة الرحمن فى ملكوته اللامحدود. لبيك اللهم لبيك.. لبيك يا جماعة الجهاد فى سبيل الله فى بلاد الإسلام.. بلاد الأفغان، وإنى لأقف اليوم - يا الله - بضعفى وقلة حيلتى، حيث

شاء الله لى أن أقف يوم المشهد العظيم مرددا مع المنادين المستجيرين بالله، وتتداعى فى مخيلتى، وفى أعماق قلبى، وداخل نفسى الضعيفة، صفوف المسلمين المتتالية التى رفعت هذا النداء الخالد منذ "حجة الوداع" وهى تقف كل عام منذ ذلك الحين.. كما يتردد أمام عينى ذلك المنظر الهائل للمجاهدين المسلمين فى **أفغانستان**.. فى أوديتها وسهولها وفوق جبالها الراسخة، والمنظران الخالدان لا يفارقان مخيلتى أبدا. لبيك اللهم لبيك.. لبيك يا جماعة الجهاد فى تلك البقاع البعيدة القريبة.. جموع محتشدة من المسلمين تقف على صعيد عرفة يوم المشهد العظيم، وجموع مؤمنة من المسلمين المناضلين تقف هناك على صعيد ملتهب بالحديد والنار دفاعا عن العقيدة والإيمان، على أرض الأفغان، ويتردد فى مخيلة الجميع هنا وهناك صدى تلك القولة المحمدية الخالدة فى حجة الوداع الأخير "أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا، وكحرمة شهركم هذا، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم..." هذا هو النداء الخالد.. نداء الرسول الصادق الأمين - صلى الله عليه وسلم - وهذا هو المكان الذى رفع فيه الرسول نداءه الداوى.. وفى نفس اليوم والشهر والمكان نرفع نداءنا.. لبيك اللهم لبيك، وفى نفس اليوم والشهر والزمان يراق دماء المسلمين فى كل مكان من العالم، وفى بلاد الأفغان خاصة، فأى وقفة تلك، وأى وقفة هذه؟؟ ما الذى يتداعى على مخيلة من يلبى اليوم؟!

لبيك اللهم لبيك.. يوم المشهد العظيم..

تتداعى فى نفسى صور كثيرة، تأخذ بى إلى البكاء المحرق، وحشرجة الصوت، فأفزع غارقا بدموعى الحارة، وبصوتى المتحشرج المتكسر بداخلى فى أعماق نفسى، وصورة الجهاد بالقتال أمام عينى، فأقول لبيك اللهم لبيك، وأتوقف عن

التفكير، وعن الكتابة، وحالة حزن شديد تملأ نفسى من حالة اليوم فى عالم الإسلام اليوم، فإذا الآية الكريمة تهزنى هزا عنيفا، وتوقظنى إيقاظا محيرا: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض. أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة، فما متاع الدنيا فى الآخرة إلا قليل، إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما، ويستبدل قوما غيركم، ولا تضروه شيئا، والله على كل شيء قدير** ﴾ فأجدنى أهتف بلا وعى.. لبيك اللهم لبيك..

إن النفرة للجهاد فى سبيل الله انطلاق من قيد الأرض، وارتفاع على ثقلة اللحم والدم، وتحقيق للمعنى العلوى فى الإنسان، وتغليب لعنصر الشوق المجنح فى كيانه على عنصر القيد والضرورة، وتطلع إلى الخلود الممتد، وخلاص من الفناء المحدود، وما يحجم ذو عقيدة فى الله عن النفرة للجهاد فى سبيله إلا وفى هذه العقيدة دخل، وفى إيمان صاحبها بها وهن.. هذا ما فهمه شهداء الإسلام الأبرار الذين هتفت قلوبهم وألسنتهم بقول لبيك اللهم لبيك، فحفروا بهذا النداء الداوى، وتلك التلبية المدوية فى سماء تلك البقاع الأفغانية على جبين التاريخ الإسلامى بوميض سيوفهم، وبدماء الشهداء الأبرار منهم، وبقوافل الصادقين منهم تلبية هذا القول الصادق الخالد: ﴿ **انفروا خفافا وثقالا** ﴾ فلبوا قائلين لبيك اللهم لبيك، تلك هى المواقف فى تلك البقاع والصقاع، فما هى المواقف فى البقاع والصقاع الأخرى.. هنا وهناك يوم المشهد العظيم؟؟

ويح نفسى ما أرى وأسمع هنا وهناك من المواقف! تلك فى الحقيقة مواقف متفرقة تتداعى على النفس المسلمة فى هذه الأيام العظيمة، وهدفى هو تبيان المواقف، وما أدت إليه تلك المواقف من نصر وعزة، أو عكس ذلك، ثم نظرة مجردة على المواقف لنرى النتائج، ولقد صادفت كثيرين، ودارت بيننا مناقشات

حامية عن واجب المسلمين، والجهاد لرد العدوان، وتحرير الأرض، وحماية العقيدة، وهذه المناقشات - مع الأسف الشديد - لا تتجاوز حدود المناقشة المجردة إلى ميدان العمل والتنفيذ..

لبيك اللهم لبيك.. يقف المسلمون على صعيد عرفة، وترتفع أصواتهم بهذا النداء الداوى لبيك اللهم لبيك، والشعب المسلم فى **أفغانستان** المسلمة أسير فى يد الشيوعيين، ألد أعداء الإسلام والمسلمين، يرزح تحت وطأة الحديد والنار الملتهبة فأين مواقف المسلمين من تلك المواقف الإسلامية.. مواقف التضحية والفداء؟..

ذلك للذكرى - لبيك اللهم لبيك - ذلك للعبرة والتحذير ﴿**إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما، ويستبدل قوما غيركم**﴾ فهل بعد هذا وضوح أو إيضاح؟

لبيك اللهم لبيك، الخواطر والذكريات كثيرة وكثيرة فى هذه الأيام.. يوم المشهد العظيم، وهى تتداعى على النفس، فتتفجر بها الآلام فى هذه الأيام، تلك التى حرمت فيها على المسلمين دماؤهم وأموالهم.. إن أبسط واجب يستشعره أبسط المسلمين اليوم هو موقف مساعدة المجاهدين فى سبيل الله فى **أفغانستان**، وفى غيرها من البلاد، لوقف نزيف دم المسلم على يد عدو المسلمين، إننا من منطلق الدعوة الإسلامية السامية نطالب الدول الإسلامية، ونطالب المجتمعات الإسلامية فى العالم كله، ونطالب الشعوب الحرة أن تتحمل مسئوليتها الإسلامية والإنسانية، ومسئوليتها الدينية والقومية، وأن تمد يد العون والمساعدة المادية والمعنوية إلى إخوانهم المجاهدين المناضلين فى سبيل الله للحصول على الحرية والاستقلال فى **أفغانستان**، وأن يخففوا من آلام المهاجرين الذين يقضون أيام البؤس والفقر والحرمان فى الخيام فى كل من الدولتين الإسلاميتين.. باكستان وإيران، إن ذلك أبسط ما يطالب به المسلمون والأحرار فى العالم..

حرام أن يسجل التاريخ الإسلامى عجز المسلمين عن مساعدة إخوانهم المجاهدين المناضلين فى سبيل الله، وفى سبيل الدفاع عن حرية الشعوب الإسلامية.. حرام على المسلمين أن يسفك دماء المسلمين أمام سمع المسلمين وبصرهم، وهم يشهدون هذا المشهد العظيم فى هذا اليوم العظيم، حرام أن تقف الأمة الإسلامية عاجزة تتفرج على ما يجرى فى تلك البقاع الإسلامية الغالية من جرائم وحشية ضد إخوانهم المجاهدين المناضلين. إن حرمات المسلمين تنتهك فى **أفغانستان** بوحشية لا هوادة فيها، إن عدو الإسلام والمسلمين يزحف على مقدسات المسلمين فى **أفغانستان**.. يقتل نساءهم، وأطفالهم، وشيوخهم، ويحتل أرضهم، ويدمر وطنهم، حرام على المسلمين ألا يلبوا قوله تعالى:﴿**وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم**﴾..

تقف جموع المسلمين على صعيد عرفة، وتقول مترددة لبيك اللهم لبيك.. ما معنى هذه التلبية الكريمة بدون التلبية؟.. ما هو الحج؟.. ما الغرض منه والهدف؟.. وما هو الإسلام يا أهل الإسلام؟.. تلك مواقف وأهداف ومنهج وسلوك، فما موقف المسلمين اليوم.. يوم المشهد العظيم؟..

لبيك اللهم لبيك.. إن الحج منافع، سلام، ونام، تقوى، طاعة، فداء تضحية، عبادة، صدق، فريضة، خشوع، إيمان، إخلاص مع إشراقة هذا اليوم السعيد الأغر، يوم المشهد العظيم، فأين هذه المبادئ الكريمة السامية من تلك المواقف الكريمة القديمة، ومن هذه المواقف اليوم؟؟..

أفغانستان الفداء.. يوم كان فى التاريخ بركانا للمعتدين والمشركين، وبرهانا للمسلمين والمؤمنين، احتلت اليوم حين غرة على أيدى حفنة العملاء، أى ظلم صاغه هؤلاء الشياطين زورا وعدوانا، يقتلون أطفالنا، ويتسلون بأسبالنا وخيامنا،

ويعيشون برأس مالنا، فوق أرضنا يبعثون السفاكين بالحديد والنار لطحن عظامنا، إن هؤلاء الشياطين المولودين فى أبراج الغوانى يلعبون بمصيرنا نحن المسلمين فى الديار الأفغانية الباسلة..

أفغانستان التضحية.. جاءت الثورات تعزيك **أفغانستان** القتيلة، كم شهيد من شهدائك الأبرار توارى فى التراب دون صلاة أو دعاء، وكم أسير قلبه جريح، وعزمه حديد! لبيك اللهم لبيك.. هاتوا ثأرنا من عدونا الغاصب، قد جاء بلادنا ليلا ونهارا يعجن الضرع البرىء بمدافعه شرا شريرا، وبشهية نهيمة، أيها العابقون، أيها اللاحقون بالشهداء الأبرار فى **أفغانستان** الشهيدة النبيلة.. قدس الأسرار، موطن الجهاد، موطن الإعجاز والآيات، مهد الحضارات والانتصار، ما لهذا العصر يؤتيك بأهلنا خائفين وجلين بائسين!..

هؤلاء القتلة يسقون كؤوس الاعتداء، ويخلطون كل يوم الدماء بأدمع الأبرياء، قوموا أيها الجموع المحتشدة، شاهدوا قسوة الغدر القبيحة، وقد أطلقت أصوات الفجيعة، وأبكت بصورتها القاسية كالحجارة أشجانا كانت حبيسة، ثم جاءها الصمت الرهيب طويلا، يا لهول المنظر من قسوة الفجيعة القبيحة القاسية كالحجارة أو أشد قسوة!!..

أفغانستان الجريحة، أنت يا صحوة الحق الذبيحة، يوم المشهد العظيم للجموع المسلمة، ما أغضبت فى تلك الجموع لا فى الشرق، ولا فى الغرب إنسانا!!..

أفغانستان الذبيحة، لبيك اللهم لبيك.. يوم المشهد العظيم.. يوم الوقوف على صعيد عرفة السعيد، ندعوك يا إلهى بأسمائك الحسنى، ونرجوك يا ربى باسمك الأعظم، ولقربك منا نناجيك، ولعلو قدرك لدينا نناديك.. ونتضرع إليك لتأخذ

بأيدى إخواننا المجاهدين فى نضالهم وجهادهم ضد عدوك، وعدو الإنسانية يا رب!!..

يا ربنا.. خلقت الإنسان، وعلمته البيان والحراب والنبال والسنان، ومنحته العقل والتفكير ليختار طريقه فى الحياة غير مكره ولا مرغم، وأعطيته قدرة وإرادة ليكون مسئولا عن أفعاله وأقواله، و لم تشأ رحمتك الواسعة، وحكمتك البالغة أن تكله إلى نفسه، وتتركه لعقله وحده، فأنزلت لهدايته صفحات مشرقة من السماء، وبعثت إليه الرسل هداة إلى معالم الطريق القويم، ومرشدين على سفن الحياة، وفى قوافل الجهاد فى البر والبحر والجو، فمن أطاعهم وصل إلى بر الأمان بالأمان، وإلى شاطئ النجاة بالنجاة، ومن خالفهم عصفت به الأمواج، وتاه فى خضم الظلمات، وقد دعا الرسل جميعا إلى الجهاد دفاعا عن الحق والعقيدة والوطن ..

لبيك اللهم لبيك.. يا بديع السماوات والأرض، لقد علمتنا - فى كتابك المسطور، وفى كونك المنظور - كيف نسلك طريق الجهاد والنجاة والسعادة فى الحياة، وفى نضال هذه الحياة، فأشرت بتطهير المعتقدات والأبدان والثياب إلى تصفية القلوب، وتزكية النفوس، وعلمتنا التواضع بأن جعلت ضياء الشمس ينزل من عليائه الملكوتى ليصافح وجه الأرض فى العالم السفلى، وجعلت خيوط النور حلقات اتصال دائم بين الثرى والثريا فى الأرض والسماء، وعلمتنا المساواة بقولك: ﴿**الذي خلق سبع سماوات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت**﴾ وأرشدتنا إلى النظام والانضباط بتعاقب الليل والنهار، وتناوب الشمس والقمر والنجوم، ودوران كل منها فى فلك لا يتعداه، ومدار ثابت لا يتخطاه، ووجهتنا يا إلهى إلى حب الجمال والكمال، فأتحفتنا بفواح المسك، وعبير الزهور، وأريج الورود، ونسمات الهواء العليل، ووقت الشهادة فى سبيله، وبعثت الأمل والتفاؤل

فى نفوسنا فى الحرب والقتال، فجعلت الخير كامنا فيما يظنه شرا مستطيرا، وأطلعت الفجر وسيما من خلال الليل والجبال لتسير أمور الجهاد حثيثة بين تلك الجبال وظلامها، وجعلت شعاع الشمس يبزغ من بين ثنايا السحال والسحاب فوق الرواسى، وأوجدت بين الأشواك الجارحة بسمة الورد المتفتحة، فإذا كانت هذه هى دنياك، فكيف تكون جنتك؟! وإذا كانت هذه هى مشاهد ملكك فكيف بأسرار ملكوتك؟!..

لبيك اللهم لبيك.. سبحانك اللهم قد رضيت لنا الإسلام دينا، وجعلته دين الرفعة بالجهاد، ودين الكرامة بالحق، وقلت فى كتابك الكريم: ﴿**و لله العزة ولرسوله وللمؤمنين**﴾ وأمرتنا برفع راية الجهاد بقولك الكريم: ﴿**وجاهدوا فى ا لله حق جهاده**﴾ فرفعنا يا إلهى راية جهادك، فوفقنا يا رب لجمع صفوفنا، ونسيان خلافاتنا، ونبذ أحقادنا، لنصر هذا الجهاد، ونصر هذا الدين، ومجابهة أعدائه المتربصين به فى الوطن، وفى الشرق والغرب، واجعلنا يا رب من المعنيين بقولك الحق: ﴿**ولينصر ا لله من ينصره**﴾ وبدلنا بقوتك من بعد خوفنا أمنا فى حيامنا، وفى جهادنا، ومن بعد ضعفنا فى المهجر قوة ورصانة، ومن بعد فرقتنا فى المنفى وحدة واتحادا، وأنزلنا عندك منازل الشهداء الأبرار، والمصطفين الأخيار، والمقربين الأطهار..

لبيك اللهم لبيك.. يا أرحم الراحمين، ويا أقوى الأقوياء، قد حرمت الظلم على نفسك، وجعلته محرما بين الناس، وجعلت الإحسان جزاء الإحسان، وجعلت الجنة جزاء الاستشهاد فى الجهاد، وجعلت ظلام الدنيا كله عاجزا من أن يطفئ نور شمعة صغيرة فى دنيا الجهاد والنضال. لبيك اللهم لبيك.. اللهم اجعل حياتنا كلها شموعا مضيئة فى عالم الجهاد، وأزل سحب الظلم والطغيان والاستبداد من

سمائنا، واطلع مكانها شموس العدالة، ونجوم الهداية، وسيوف العناية حتى يسير عالمنا الإسلامى بمنازل الأفغان فى ضوء الحق، بعد أن تخبط فى ظلام الباطل، وتشرق تلك الأرض الإسلامية بنور ربها الكريم بعد أن سودت وجهها جرائم الشيوعية وذنوب العملاء..

لبيك اللهم لبيك.. يا ذا الجلال والإكرام، لا تراك عين البصر، ولكن تراك عين البصيرة، وإن كنا عاجزين عن إدراك ذاتك، فكن أقرب إلينا بعفوك وكرمك ورحمتك، ونحن نرى لطفك وكرمك بمن عصاك، فكيف لطفك بمن أطاعك، وجاهد فى سبيلك؟! ونشهد عطاءك لمن لا يدعوك فكيف عطاؤك لمن دعاك؟!..

لبيك اللهم لبيك.. اللهم يا إلهى اجعل القرآن الكريم دستور حياتنا، وطهر به قلوبنا، وطريقة جهادنا، وزك به نفوسنا، واجعله حجة لنا فى حياتنا وبعد مماتنا، لا حجة علينا، واجعله قائدا لنا إلى الجهاد والحق، وقائدا لنا إلى الجنة، ولا تجعله سائقا لنا إلى النار، يا رب اجعل سيرة قائد المرسلين قدوتنا، وأخلاقه أسوتنا فى كل أعمالنا وأفكارنا، وسنته رائدنا فى كل جوانب حياتنا، وحوضه موردنا بعد استشهادنا، أضيء قلوبنا بحبه، وعطر ألسنتنا بالصلاة عليه، وتب علينا توبة نصوحا، ووفقنا بقدرتك فى تحرير بلادنا وتطهيرها ليسود فيها دستورك الخالد، فقد اغتيل فيها هذا الدستور..

أيها العابقون، أيها اللاحقون بالشهداء قوموا وأحيوا ظلمة الأكوان نورا وضياء، شقوا غابة الظلم والعدوان قبورا، أنبتوا من حولها روضات وأخدودا ظليلا، كى تدوم لمرضعات الأيتام مراقد رغم أنوف السفاكين، الأرواح فى لون الدم فى القبور، والبروق تتوق لأخذ الثأر فى الفجر، والرعد يتوعد فى الصباح والمساء، ويتهدد من خيانة سير القضية الأفغانية فى الجهاد والنضال..

لبيك اللهم لبيك.. الشهداء ملايين، والمهاجرين أكثر من خمسة ملايين ضحية فى أعداد الشهداء، تركب الدخلاء تشتيتا وويلا ثبورا، تضرب الرصاص أمواج العبور، وتقلب الإعدام آمالا وملحمة غنية..

لبيك اللهم لبيك.. ورحمتك الواسعة للمشردين الذين فقدوا كل معنى للحياة فى حرب مجنونة هوجاء لإعلاء كلمة الحق.. كلمتك ودينك، رحمتك يا رب لضحاياها الأبرياء الذين اصطلوا بنارها، وليس لهم منها فى هذه الدنيا إلا الشقاء والحرمان والأسى، رحمتك لهم، ليس لهم غيرك، رحمتك يا رب..

ودم يسيل على دروب زماننا ❁ ماذا جناه دم يسيل نقيا
سنعود إلى الأوطان نعيدها ❁ وجها ينير المشرقين وضيا
سنعود مهما طال ليل ضياعنا ❁ وتهامسوا: أن لن تعود إلينا
عنوان دارى فى دفاتر مقلتى ❁ وطريق حقلى فى خطوط يديا
ووجوه أهلى الماطرات عيونهم ❁ تحشو البنادق غضبة وعتيا
إن الدموع إذا مشت بجفوننا ❁ تغدو جحيما ليس يرحم حيا

لبيك اللهم لبيك.. ورحمتك ونصرك لجماعة الجهاد والنضال الحق فى هذا اليوم المشهود، يوم المشهد العظيم..

رب لبيك يا كريم العطاء ❁ يا رجاء الداعى ونور السماء
يا رءوفا ومنعما ورحيما ❁ وملاذا وكاشف الضراء
يا مغيث المكروب يا رافع البأس ❁ ويا رافعا صنوف البلاء
يا نصير المظلوم يا ملجأ المحروم ❁ يا من يجود بالسراء
يا رحيما بنا يا مستدل الأستار ❁ فوق الذنوب والأخطاء

يا غفـورا لمـا فعلنا من الآثـام ❁ فـي جهـرنا وطـي الخفـاء
يـا ودودا قـد ضمنا بالتآخي ❁ فـي ظـلال نديـة الأوفـياء
وإليـها نلـوذ نستمطر الغفران ❁ مـن فيـضك السـخي العطـاء

لبيك يا مغيث المكروب، لبيك يا نصير المظلوم، لبيك يا غفور الآثام، بعونك سنعود إلى الأوطان، وسنشق غابات الظلم فى البلاد ليسود فيها دستور القرآن، رحمتك يا رب ليس لنا سواك.. ندعوك بقلوبنا الدامية فى هذا اليوم الميمون.. يوم المشهد العظيم.

الجمعة – صعيد عرفة

١٤٠٣/١٢/٩هـ = ١٩٨٣/٩/١٦م

obeikandl.com

٢٦- جهاد الأفغان دروس في الإيمان

جلست في ليلة أتأمل معجزة ثبات المسلمين في منازل الأفغان، ومعجزة صمود المقاتلين الأفغان، والمجاهدين الشجعان أمام أكبر دولة عاتية في عالمنا اليوم قوة وسطوة وجبروتا، وبينما كنت مستغرقا في التأمل والتفكير، مستشعرا البهجة والسعادة الغامرة بهذه المعجزة والصمود البطولي للمسلمين في البلاد الأفغانية، ضحكت في سريرتي من نفسي ضحكا لا إراديا تنبهت بعد ذلك إلى أنها مسألة الإيمان والعقيدة المحكمة الخالصة، وقد باتت مسألة الإيمان تزعج وتحير كل من هو في الشرق، وكل من هو في الغرب على السواء.. كيف استطاع هؤلاء الأبطال في منازل الأفغان أن يكبدوا أشرس عدو في التاريخ الحديث تلك الخسائر الجسيمة في الأرواح والمعدات الحديثة بأسلحتهم ومعداتهم القديمة البالية، مع محدودية العون الذي يتلقاه هؤلاء الأبطال من المجاهدين الأفغان الذين يؤمنون بالله، وبحقهم في الحياة الحرة الكريمة على أرضهم الإسلامية الكريمة، وهم يقفون بكل بسالة وبطولة وفداء في وجه أقوى عدو عرفه التاريخ في العصر الحديث يهابه الجميع، ويحسب له ألف حساب، وقد أصبح هؤلاء المجاهدون المؤمنون بمثابة الهاجس الشاغل للمراقبين السياسيين والعسكريين في العالم كله شرقه وغربه.. فئة قليلة العدد والعدة قد عجزت أقوى دولة عاتية في العالم الحديث من القضاء عليها، فقلت في عجب: ما هو الشيء الذي يكمن وراء هذه المعارك الغريبة؟.. مجموعة قليلة من الجند تقف وبكل شجاعة وتضحية وفداء في وجه أقوى دولة في العالم؟ فقلت بلا تردد: إن الإيمان الحق بالمبدأ والعقيدة الإسلامية التي لا تنفك تأسر المجاهدين، وتستحوذ على قلوبهم المؤمنة ليقينهم القاطع بأن الله ناصرهم،

إنهم يحاربون لإعلاء كلمة الحق، يحاربون وفى أيديهم القوية راية الإسلام والإيمان والتوحيد، يحاربون والإيمان يملأ قلوبهم بالنصر المؤزر بإذن الله الذى ثبت أقدامه بالحق ﴿**وإن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**﴾ إن المقاتلين الأفغان يوقنون حقا بتفرد الإسلام، وكمال نظامه الفريد، وبهزل النظم الوضعية السائدة فى هذا العالم الملىء بالأحداث والأشواك التى توضع فى طريق النظام الإسلامى..

إن دعاة التغريب، وأذيال مادية التشريق ممن يؤمنون بسحر النظم الكافرة، والمدنية السافرة قد أدركوا من خلال التجربة الأفغانية فقر وضلال ما تشربت به نفوسهم الضعيفة من حتمية التبعية والانقياد الأعمى إلى تلك المفاهيم المفلسة الواردة من الغرب والشرق المادى دون التمييز، ودون الرجوع إلى فهم ودراسة المفاهيم الإسلامية.. أجل، لقد قيض الله هؤلاء المجاهدين المقاتلين العزل من الشيوخ والشبان والصبية ليمثلوا ما للإسلام من قوة خارقة، ووزن عظيم هائل يحطم كل الأغلال والسلاسل الفولاذية، ويهدم أراكين الطغاة، ويدمر بيوت البغاة الحصينة مهما بلغوا من منعة وقوة وعتو وجبروت..

كانت روسيا تعتقد عند دخول قواتها أرض **أفغانستان** الطاهرة، بإمكانية الإجهاز السريع على كرامة ذلك الشعب الأبى المسلم فى بضعة أيام، كما فعلوا ذلك مع بعض شعوب الكتلة الشرقية، فإذا بالسنين تمر دون أن تتمكن من السيطرة على هذا البلد المسلم، وها هو الشعب الأفغانى المسلم يدخل التاريخ من أوسع أبوابه مسجلا أعظم المواقف من البطولة والفداء، ومن البذل والتضحية، فى ظروف قاسية حالكة عجفاء، وفى الحقيقة فإن الروس العتاة الطغاة قد وقعوا فى الفخ الذى نصبوه فى الأرض الأفغانية بأنفسهم، وبأيديهم الملوثة بالدماء، فالمستنقع

الأفغانى الخطير الذى وقعوا فيه، وسقطوا فى أعماقه، من الصعب عليهم الخروج منه بسهولة ويسر ليحفظوا ماء وجههم العارى من الماء والحياء معا..

إن موسكو عاصمة الاستبداد والطغيان فى موقف محرج للغاية، وإحراجها عالمى ودولى، وقد نشأ ذلك من استخفاف المجاهدين بقدرتها العاتية، وبأسلحتهم البدائية العتيقة، وفى ظل الظروف المحزنة المؤلمة التى يواجهونها، إنها مسألة مدهشة لها حساسيتها الشديدة الأثر، لأنها تلقى بظلالها المؤثرة على أسلحة الدمار الروسية، وهى بالتالى توحى بمدى فعالية الدين الإسلامى، وثقله وتأثيره النافذ على النفوس المؤمنة، وفى النفوس الكافرة على السواء..

نعم! لقد انتصر المقاتلون الأفغان من المجاهدين الشيوخ والصبية برغم التقديرات والتصورات والتوقعات المتباينة التى تحكم عليهم من الجوانب والنواحى المختلفة، فقد انتصر الشيوخ والصبية المجاهدون الأفغان بتفانيهم فى العقيدة، وبتكاتفهم ووحدتهم فى الهدف، إذ مهما بلغت درجة الخلاف والشقاق بينهم - وهو أمر لا يمكن إنكاره - فهى على كل حال لا تعدو كونها خلافات عابرة، إذ يتفقون جميعا بطبيعة الحال فى الأساس والأسلوب والهدف، وعلى هذا الأساس المتين، والأسلوب المتميز، والهدف المشترك قد حققوا غاية أخرى من الغايات الهامة، وهى الالتقاء فى ميدان القتال، والالتفاف حول تحقيق الهدف، ومواصلة المسيرة المقدسة، مهما كانت النتائج، وذلك ليثبتوا وليبينوا للعالم بأن الإيمان يعمل وينجز المعجزات، وبالإيمان يسمو الأتقياء فى أعالى سماء النصر والعبر والموعظات ﴿**كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله**﴾ إن الصابرين المؤمنين من صناديد شيوخ الأفغان وشبابهم وصبيتهم الذين دوخوا الجبابرة العتاة الطغاة، قد قدموا الكثير من المتغيرات المتصارعة المتسارعة على أرض الأفغان الطاهرة الظافرة.. نحن

لعلى يقين بـأن المقـاتلين الأفغـان سـيلحقون الهزيمـة بعـد الهزيمـة بـالروس الأنجـاس المعتدين - بإذن الله القادر - وسيخسر الروس فى القضية الأفغانية العادلة سمعتهـم الدولية والعالمية، وذلك دون مساعدة المقاتلين الأفغان من دولة عظمى، وعلى هذا سيتبين لنا حجم هذا الجهاد والنضال الأفغانى المقدس، وقـد نبـه الأفغـان بجهـادهم ونضـالهم المقـدس إلى كثـير مـن المكاسـب والمعطيـات السياسـية والعسـكرية والاجتماعية ليزيدوا من قوة الاندفاع فى اليقظة الإسلامية فى عالم اليـوم، فـالعمل الأفغانى إسلامى، والالتقاء الأفغانى إسلامى، والجهاد الأفغانى إسلامى، والالتفاف الأفغـانى حـول الهـدف والأسـلوب والأسـاس إسـلامى، والانتصـارات الأفغانيـة إسلامية.. هذه المعطيات وتلك المكاسب الإسلامية تلح بشدة، وبقوة أشد لإثبـات وجودها، ثم انتشارها فـى أركـان العـالم.. فـى السـاحات السياسـية والاقتصاديـة والاجتماعية والثقافية، وذلك لتتمكن من تقليب الموازين العالمية رأسـا علـى عقـب لصالح أمة الأفغان.. أمة الإسلام.. أمة راية القرآن، وليس ذلك على الله ببعيـد.. حقا إن جهاد الأفغان دروس فى الإيمان.

حى الثغر بجدة

٢٧ ـ سطور مسطورة إلى قريتى شمونـد

يا قريتى الصغيرة، يا قريتى الجميلة، إن اسمك مسطور على قلمى، ومنقوش على جدار قلبى، ولا يفارق مخيلتى.. قريتى الجميلة، طيفك الجميل لاح فى الأفق البعيد، أهازيجك بحيرة هادئة هائجة وسط السماء الصافية، أسبح فيها وحيدا غريبا، وأغرق فى بحر نجومها الجميلة اللامعة بحثا عن الطريق المفروش بالأشواك للوصول إليك من جديد، يا قريتى الرائعة..

أحلم بقريتى الصغيرة الهادئة المغطاة بأشجار التوت والبلوط والصفصاف، أحلم بحفنة طيبة من رمال أرضك الطاهرة، أحلم بجرعة ماء نقى صاف من عيونك الصافية، ومن نهرك المندفع اندفاع أبطالك نحو الجهاد والنضال، أحلم بتلالك وأطلالك، وبجبالك من حولك، أحلم بحقولك الجميلة الرائعة الناضرة التى تسر الناظرين..

قريتى!.. أتعاهد مع نفسى بأن أنقش اسمك على مهجتى.. على جدار قلبى الجريح، أعاهدك ألا أنساك، قريتى "شمونـد" الجميلة.. أنت المنى، وأنت الطلب، قريتى الصغيرة البعيدة القريبة.. بينى وبينك مسافات بعيدة، بينى وبينك كل الحواجز الدامية، بينى وبينك كل الأنهار الحزينة الباكية، بينى وبينك حواجز الشيوعية البغيضة.. فأنت يا قريتى الصغيرة بعيدة قريبة.. أنت فى ذاكرتى على الدوام..

قريتى الصغيرة اللطيفة.. مازلت أذكرك كأننى أعيش فيك الآن، كما كنت كذلك بالأمس القريب، قريتى مازلت أجتاح كل الجسور فوق الأنهار، كل المطارات فى كل الأقطار، أجتاح كل البحار والبقاع فى الغربة القاتلة، أسكب

الدموع لأروى أشجار بساتينك الجميلة الظمآنة على ضفاف النهر.. قريتى "شموند" فى وادى "كونر" إليك هذه السطور المسطورة بالدموع والدماء..

قريتى الجميلة.. طبيعتك الخلابة تجذبنى إليك جذبا، نهرك العذب يشدنى إليك شدا، منظر سمائك الصافية يدعونى إليك بقوة، كذلك منظرها حين تكون ملبدة بالغيوم الممطرة فى فصلى الشتاء والربيع، وأكثر ما يشدنى إليك منظر أرضك الحبيبة حين تعلن سرورها وفرحها وسعادتها بقدوم فصل الربيع، فتزتدى حلتها الخضراء السندسية البهية، منظر أزهارك الناضرة، ووروودك العطرية حين تتفتح وتنثر عبقها حول جداول مياهك المنعطفة، وفى أجوائك المعطرة.. يعجبنى فى قريتى منظر الشمس عند الطلوع من فوق، ومن وراء قمم جبالها الشامخة، وعند مغيبها خلف الجبال العالية، ويعجبنى منظر جبالها وهى تحيط بها إحاطة السوار بالمعصم، ومنظر نهرها المتدفق وهو يعانق حقولها معانقة الحبيب للحبيب، يزداد جمال قريتى الجميلة ليلا حين تظهر النجوم فى كبد السماء، وكأنها حبات لؤلؤ منثور، وحين يجتمع أهلها الطيبون يتسامرون على ضوء القمر المنير تحت أشجار التوت والصفصاف، ويتجاذبون أطراف الحديث..

جميلة هى قريتى تلك، كل يوم يزداد جمالها وروعتها، فيزداد تعلقى بها وشغفى، وأتمنى من كل قلبى، ومن كل الأعماق أن أعود إليها، وتعود إلىّ أيام الطفولة البريئة، ولكن هيهات هيهات.. أين أنا وأين العودة إلى قريتى الجميلة؟!.. أشعر بسعادة بالغة غامرة حين أذكر بلسانى اسم قريتى الصغيرة، وحين أرسم اسمها الجميل فوق الورقة، وعلى جنبات قلبى الدامى، وكنت أتمنى أن تبقى نظيفة

طاهرة نقية صافية، وجميلة رائعة لطيفة، دون أن تدنسها يد الغدر والخيانة، يد الظلم والاستبداد، يد الشر والرعب والتدمير، وألا تمتد إليها قدم العدو الملوثة بالدماء الطاهرة النقية الزكية، أن تظل مأوى لكل من يطلب العلم، وينشد الراحة والطمأنينة، وأن تبقى محتفظة بذلك الجمال الذى وهبه الله إياها فى العلم والبسط والفتنة وأمان. قريتى الصغيرة "شموند" فى وادى "بيج" المنعطف بوادى "كونر" ذى الجمال الأخاذ، إليك أسطر هذه السطور المسطورة بالدماء والدموع، والمرسومة على جنبات فؤادى الجريح الذى يرقص كالطير المذبوح.

حى الجامعة بجدة

opeikandl.com

٢١- قرى على ضفاف نهر بيج

على ضفاف نهر بيج - وهو من أهم روافد كونر المتدفق - تقع قرى عريقة جبلية الطبيعة كونرية المزاج، تتناثر هنا وهناك، تزيد من جمال المنطقة، وجاذبية النهر، وروعته، تحيط بها تلال من الرمل الحجرى، وأشجار من البلوط والصنوبر، وأشجار من الصفصاف والتوت، والزيتون، كما تحيط بها قمم من الجبال المكسوة بتلك الأشجار المشهورة فى تلك الربوع والذرى، وتخلل تلك القرى أطلال من الطين الأسود، تحكى تاريخ الآباء والأجداد فى غابر الزمان فى هذا المكان، حيث كانت لهم صولات وجولات مع الكفر والشرك والإلحاد، ودور فعال فى تطهير تلك الجبال والوديان من ذلك الداء القاتل فى ذلك المجتمع الغابر، وتلك الخصال والشمائل الحميدة التى كانوا يتحلون بها، والتى لا تزال القرى المتناثرة هنا وهناك على جانبى النهر، تتحدث عنها فى إصرار، عالقة ذكراها بالأذهان والمشاعر، كانت هذه القرى إلى عهد قريب تعيش حياة هادئة هانئة وادعة تعتمد على الرعى والزراعة على جانبى النهر الهادر، وتحت سفوح جبالها، وفوق تلالها من الرمال والطين، حتى حل بها ما حل بغيرها من القرى والبقاع من ويلات الحرب الحمراء الدامية..

وكانت أصوات هدير المياه المتدفقة تنبعث من بعيد على الشاطئ كالمزامير، أو كالناى الذى يشد صاحبه إلى وطن طال اغترابه عنه، وتختلط هذه بأصوات الرعاة وأغنامهم على أطراف تلك القرى المتناثرة هنا وهناك، فتشكل حركة دائبة للحياة ونشاط الأحياء، توحى بالرضا والقناعة، وبالصبر والمثابرة..

وينتشر أريج الحقول والزروع فى المزارع، ليفعم الجو بالطمأنينة والدعة والإصرار جاعلا أفئدة البسطاء تهفو بقوة إلى مزيد من الالتصاق بتراب هذه الأرض الطيبة، وهناك على جانبى النهر الدافق جبال شامخة مكسوة بالأشجار العالية، تروح وتأتى بأغصانها، وتتمايل عندما تهب الرياح، تسبح بحمد ربها فاطر السماوات، ومبدع الأكوان، فإذا جاءت ليالى الصيف فى تلك الربوع كثرت مجالس السمر، واللهو البرىء، وتعددت فى ضوء القمر المنير، وتحت الأشجار، مع شرب الشاى الأخضر والأسود، مع التهام قناديل من الذرة الناضجة المشوية بالفحم الخشبى..

تلك كانت حالة تلك القرى المتناثرة على جانبى النهر، وهذا ما كان حالها فى سالف الزمان، أما عن حالها اليوم فى هذا العصر من الزمان، فقد تبدل كل شىء فيها.. حتى الأرض، حتى التراب.. فقد تعرضت بشدة وبقسوة أشد، وبوحشية بالغة للهجمات الشرسة التى قامت بها عصابات الشيوعيين، وجماعات الجيش الأحمر الوحشى، فاختلطت خصوبة الأرض بدماء الشهداء من أبناء تلك القرى المدمرة الخالية من أهلها، والخاوية على عروشها، وجفت الحقول، وكادت الأغنام والمعيز والأنعام أن تنعدم، كما نزح من بقى من أهل القرى إلى المهجر هاربا بعقيدته ودينه، وبحثا عن المأوى، ولقمة العيش لسد الرمق، وللمحافظة على الحياة، وأصبحت مظاهر الحياة الناضرة فيها كالحة وجافة، ودخان حرائق التدمير والتخريب، وبخار سخونة آهات الأمهات الثكالى والأرامل يرتفع فيها إلى عنان السماء، وتحولت القرى والعزب إلى الأطلال..

قفى يـا ظـبية الوادى ❁ على الأطـلال نـاجيها
وكفـى أدمعـا حـرى ❁ روت بالأمـس باقـيها
وقولى فـى غـد يـأتى ❁ حبيـب القلب بانيـهـا
وبالأفـــراح يملـــؤها ❁ بكـل الحـب يحييـهـا
وسيرى صوب أيكتنا ❁ عـلى مهـل وغنيهـا
ولاتنســى حميلتنـــا ❁ وأحـــلاما لنـا فيـهـا
وزورى نقـش قلبـينا ❁ على الأشجـار يدميـهـا
بأســهم حبـنا يمضـى ❁ لعمـق العـمق بانيـهـا
ومـرى فـوق قنطـرة ❁ عبـرنا فوقـها تيـنا
ونحـن اثنـين نرقبـنا ❁ عيـون الصبـر نسبيـا
وعـودى حيثمـا يحـلو ❁ لنـا أسـرار نفشـيـا

وكانت القرية التى ولدت فيها، وترعرعت على ترابها وشممت غبارها من تلك القرى التى دمرتها يد الظلم والطغيان، قد هاجرها أهلها إلا القليل الذى يعيش تحت ظلال أشجار التوت فيها، فإليك يا قريتى أكتب هذه السطور من النور والأسى والألم، وعنك يا وطنى أتحدث فى هذه الصفحات، وبك يا وطنى أحيا بعيدا بعيدا، ومع ذكراك يا وطنى أعيش قريبا قريبا، سامحينى يا قريتى الصغيرة، وسامحنى يا وطنى.. هذا كل ما أستطيع أن أقدمه لك الآن بعيدا ألاقى من الآلام والأسى والحسرة ما ألاقيه..

فليتنى كنت معهم فى خندق الصمود الذى صنعه أهلك، وصنعوا به تاريخ البطولة والشرف لهذه الأمة المنكوبة، ولهذه القرى المدمرة الخاوية على عروشها،

ليتنى كنت طفلا من أطفال تلك القرى، ليتنى حملت السلاح معهم للقتال، فقتلت وقتلت.. لكان ذلك أولى وأفضل من انتظارى هنا بعيدا أسمع وأرى ما لا طاقت لى به، كل يوم تقتيل وتخريب وتنكيل، كل يوم قصف وتدمير وإنزال الأنذال لصب العذاب فوق رؤوس الكرام فى تلك القرى المدمرة تدميرا، والمخربة تخريبا..

صدقونى، يا أهلى، يا عشيرتى، يا قومى، يا شعبى، أنتم أفضل منى لأنكم على الأقل تقاتلون وتدافعون، ولا تجلسون هنا كما نجلس نحن نعصر القهر، والقهر يعصر قلوبنا، والغربة تقتلنا كل يوم، كل حين، لكنى متأكد أننا جميعا نشارككم بقلوبنا المعصورة المكسورة، وسوف نشارككم فى شق طريق النصر، طريق الجهاد المقدس والنضال الوطنى، ذلك لأن الطريق طويل.. طويل شاق.. شاق لكنه لذيذ وعذب وجميل بجهادكم ونضالكم..

يا من حافظتم على صورة أجدادكم، وأثبتم للعالم أجمع شرقه وغربه بأننا أمة لا تموت، ولن تموت أبدا، لأن عقيدتنا قوية، وقوية إلى أبعد الحدود بالإيمان والجهاد والنضال..

كتائب النصر فى شمونة وفى كوتز
هللت وازدهت فى موكب النصر
وذكريات فتوح الغر حيث سرت
فى سالف الدهر وامتدت إلى العصر
حيث بالمشرق رايات المجد وفى
جفونها الشوق يستدنى من الثمر

وألف جيل من الجهاد وما حملت
من الكفاح والنضال والعسر
تطلعت للذؤابات التي شمخ
لها الإسلام في العقل والفكر
لقادة الزحف مازالت معاركهم
رمز البطولة والإقدام والكسر
وكان كل فتى منهم لأمته
سيفا يمزق كبد الخائن الشر
ومعلما للهدى تسري أسنته
في كل أفق بنور الخالق القهر
يقودهم سيف الإسلام في سبل
عن المفاخر والعلياء بالفخر
ويستعيد بهم أمجاد أمتنا
وما أضاعت من البلدان والقطر
تمسكوا بالعروة الوثقى وما وهنوا
يوما ولم يخدعوا بالزيف والمكر
كتائب النصر مازالت مرفرفة
خفاقة تتلقى موكب الزهر
وبالبطولة في أسمى مداركها
وما تألق في روح وفي قدر

فأنت أنت نصير الحق ليس له
سواك بعد الإله الواحد الأحد

إن دموع النساء الأرامل، والأطفال الأيتام فى تلك القرى البائسة تبتهل إلى الله الواحد الأحد، وحياتنا نحن معشر الأفغان لا تعنى بمفهومها الصحيح حياتنا وحدنا، بل هى أعم وأشمل من ذلك، بمعنى أننا ليس فى إمكاننا أن نكون بعيدين عن أحداث أمتنا، أو بمعزل عن آلامها وآمالها.. كل منا يمتعض ويغضب ويتألم وهو يرى بكلتا عينيه ضحايا العدوان الأحمر فى تلك القرى من شيوخ وأطفال ونساء.. كل منا يحس بالأسى والحزن، وهو يرى البقية الباقية من الأسر الأفغانية تنبذ بالعراء تحت وطأة البرد، ونقص الغذاء، ورهبة الخوف، وروعة المنظر، وفزعة المنقلب، والزعماء فى واد، ونحن فى واد، والقضية الأفغانية فى واد آخر، لقد فقدنا الأمل فى هؤلاء وهؤلاء جميعا..

أبيدت الحياة فى تلك القرى بمن فيها من الشعب البائس الفقير، وبما فيها من المزارع والحقول والحدائق، ومن بساتين العنب والتين والتوت، ومن أشجار البلوط والزيتون، لقد كان كثير منهم ينعم بحياة طيبة، أما الآن بعد تنفيذ عملية التدمير والتقتيل والتخريب فإن كل أسرة من تلك الأسر المدمرة مكدسة فى خيمة بالية من رجال ونساء وأطفال، أو فى كوخ حقير، وقد غدوا لا متاع لهم.. لا ممتلكات ولا نقودا ولا عملا ولا أملا، وعندما ينظرون إلى ما وراء التلال والجبال حيث كانوا يعيشون تلتهب عيونهم غضبا، ويتعطشون للانتقام تعطشا، إن الشيوعيين فعلوا بالمسلمين فى **أفغانستان** أكثر مما فعله هتلر باليهود، وإذا كان دم هابيل قد ارتفع صوته من الأرض شاكيا لله تعالى، فليس أقل منه صياحا وصراخا وألما دموع هذا الشعب المغلوب على أمره، وهو يعلم أن زعماءنا قد شاركوا فى

إلحاق البؤس واليأس به، إن دم هابيل لم تذهب صيحته إلى الله سدى، كذلك لن تذهب صيحة دموع المهاجرين الأفغان،ودماء المجاهدين الأفغان عبثا وهدرا..

و فى خضم هذه الأحداث المؤلمة انتهى بى المطاف إلى قرية "شموند" تلك القرية الرابضة بين سفح الجبل والنهر، والمتغطية بالبساتين من أشجار التوت والصفصاف والتين، والتى مازالت صورتها الوضاءة تملأ السمع والبصر والفؤاد من خلال قسمات مشرقة مثيرة تتألف منها صورة كونر الصغيرة حجما والكبيرة مكانة وقدرا..

كانت هذه القسمات المشرقة كافية لتأتلف منها فى ذهن إنسان محترق متحمس صورة مشرقة لامعة عن تلك القرى الخاوية على جانبى النهر.. نهر "بيج" السريع فى تلك الأودية السحيقة.. فأحلم أنى أعود إلى جو قروى هادئ، فأستأنف من حبه الأول، وأستأنس به فى هذه الغربة القاتلة، وأحلم أن يدىّ جناحان أطير بهما، فأرقى إلى الجو، وإلى العالم الأرقى والأرفع والأمثل، فأناجيها من العالم العلوى الأرفع، ومن العالم الأزرق القاتم من تلك الأجواء العلوية الشاهقة، فأتجه نحو تلك الربى الخضر.. القرى المتناثرة هنا وهناك بعد التدمير والتخريب والاندثار..

آه! يا رب، يوزعنى الظل والضوء، والأمل واليأس، والألم والأسى فى هذه الوحدة والغربة القاتلة، كما توزعت تلك القرى على جانبى النهر بين التدمير

والتشريد، وبين المآسى والآلام، مرة بين رائحة النهر، وأخرى بين رائحة البارود والدخان الأسود.. بين هذه وتلك فتحت عينىّ..

نعم! فتحت عينىّ وإذا بهما تقعان على منظر مألوف، رأيت ذلك الطائر الجميل ذا صوت حنون، وجدته مستمرا بالتغريد فوق أشجار تلك التلال والأطلال، وكان يطلق غناء عذبا، ولحنا خالدا، يدعو للشهداء، ويواسى الأحياء.. وقد فرحت نوعا ما لهذا الإيحاء والمواساة، وجدت ابتسامتى تعلو وجهى قليلا قليلا بعد ما دثرتها أحزان الزمان والمكان والمكين، وأخذتنى الأفكار فى أوكار الطيور المغردة على ربى قرانا المندثرة المسحوقة سحقا وحشيا.. طيور جميلة وفية تواسينا نحن البشر من جماعة الأفغان من أهل تلك القرى والديار، وحققت برقتها وعذوبة أصواتها وتغاريدها الجميلة المحزنة ما لم يحققه الإنسان بجبروته وقوته وعقله الجبار، فأذعنت لهذا الطائر الجميل، وأخذت أسمع إليه مع ما يواسينى به، فسعدت به طول إقامته داخل نفسى، وفى نافذة مخيلتى المتعبة.. وفجأة حدث شىء أفاقنى من شرودى وانسجامى مع عذوبة صوته.. وهو أن الطير قد مر بعيدا فى أعالى سماء تلك الربى القروية، فى أعالى سماء الحرية، بعيدا عن رائحة الحرائق المدمرة، ومداخن الدخان الأسود السوداء كأنه يواسى جريحا آخر، أو يدعو بالرحمة والغفران لشهيد آخر، قد ارتفعت روحه الطاهرة إلى السماء. أو كأنه ذهب باحثا عن الطعام لأبناء تلك القرى من الأيتام..

ما أجمل تلك الطيور الجميلة الوفية فوق ربى تلك القرى! هذه الطيور الوفية تفعل ما لا يستطيع فعله ذوو العقول المفكرة المدمرة، فرق بين الطيور المغردة والعقول المدمرة، وفرق بين التغريد والتدمير! هل أتى هذا الطير المغرد، ودخل

نفسى من أجل فتح آفاق جديدة أمامى حيث جعلنى أتجه بكل فكرى وعقلى إلى شىء آخر فى نفسى وداخل كيانى؟ لست أدرى.. سوى أننى لن أنسى تلك اللحظات من عمرى مهما كانت همومى وأحزانى الثقيلة القاتلة..

منظر آخر من مناظر الأسى والحزن والألم فى تلك القرى المتناثرة هنا وهناك على جانبى النهر الصغير السريع، وهذا المنظر المؤلم منظر ليالى الأيتام من أهل تلك القرى المندثرة اندثارا، والمدمرة تدميرا..

الليلة الأولى: زمهرير البرد القارس فى الشتاء البارد يزداد ويشتد، واحتراق الجمر داخل الكوخ الصغير يزداد ويشتد فيخشاه اليتيم خشية، ويرتد قائلا: آه، يا أماه، لماذا نحن نحترق بالجمر والدمار؟! لماذا لم يعد فى الموقد نار أو نور؟! يحتوينا الليل بآلامه، والمجهول بظلامه، ورمل الجمر بغباره من ترابه، لماذا هذا الانطفاء فى كل شىء مرة واحدة؟! قالت بحسرة شديدة مؤلمة: سيأتينا غدا أو بعد حين، وليس الغد ببعيد، يحمل الشمس فى يمناه، والقمر فى يسراه، وسيلقى من مسامات جبيننا هذه الكثبان من رمال التدمير والتخريب والتشريد..

الليلة الثانية: تحبو فى جيوب الليل المظلم أفعى تفرز الشر المستطير، والرعب المميت فى الكوخ وأطرافه، وليس فى الكوخ دواء أو ترياق، وليس فى الجيب ما يرضى الطبيب، وأين الطبيب؟ أول الوصفات صبر، والصبر فى بعض الأحوال جميل، وآخرها نار أوار، ثم ينحنى الطفل الصغير أحمد خان للذبح - كإسماعيل - طوعا وهو راض بالرحيل من هذا العذاب الأليم، وتنشق السماء، وينزل الهاتف قائلا: إن لحم الشر أولى بالموت والجمار، وبالنار والدمار..

الليلة الثالثة: ينحنى الشر فوق بيوت الطين بين أكواخ الأيتام والبائسين، يمشى ويسأل.. هل من زارع أو فلاح بين تلك الأكواخ والأيتام؟ لا مجيب، ولا

مستجيب. نحن نصطلى بالنار والدمار، ونعانى من التدمير والتخريب، ونزرع الآمال ليجنيها الخيال، وقد شاخ الانتظار القاتل، وذلك الصبر الطويل فى أذهاننا، و لم نحصد غير الموت واليأس، ووعود الغد أو بعد الغد، إنها أشواك تمتص دماءنا، ومن ماء أفئدتنا وقلوبنا إن وجدت فيها ماء أو دماء..

الليلة الرابعة: ثم تذرى وردة أخرى من ورود العمر، ومن أزاهير الطفولة، تودع لعبة زمهرير البرد القارس فى السجن.. سجن الشتاء، تاركة وراءها سجينا أو سجناء فى زوايا الأكواخ البالية، وبين حبال الخيام المتآكلة، والقافلة لم تزل تعدو لاهثة خلف السراب فى ذلك التراب تعدو نحو البريق.. بريق الأمل والنور..

دمعة حارة محرقة على مذبحة الشهداء، دمعة الوفاء والدعاء على شهداء تلك القرى المدمرة على جانبى النهر المنهمر، دمعة أغدرت بغزارة، ثم جفت بسرعة من بشاعة المنظر، وتحجرت من بربرية الأسلوب والتنفيذ الوحشى، لماذا استشهد هؤلاء الأبرياء الأبرار؟! يا للهول التمثيل والوحشية البربرية! إن الأصوات والصرخات والويلات فى سمعى وصدرى وعقلى وفكرى تقتل فىّ معنى الحياة ومتعتها، والحدقات المفزوعة تطاردنى.. عزل من الرجال، براعم من الأطفال، مرضعات من النساء، وضعاف من الشيوخ، لم يقتلوا فقط، لم يذبحوا فحسب، لكنهم بعد كل ما ذاقوه، ولاقوه من العذاب بقرت بطونهم، وهم بين الغفوة واليقظة، قطعت حناجرهم بين الصحوة والصرخة، ثم دفنوهم بين الموت والحياة فى مقبرة جماعية باستخدام البلدوزرات الروسية الملطخة بالدماء الزكية الطاهرة الساخنة..

لا سحابة فى سماء القرى تؤنس الوحشة، أو تواسى الجرحى، ولا إطلالة من نور الأمل، حتى نسيم النهر لا يوفى بالوعد والعهد المعهود، القرى المدمرة

والبيوت المحروقة حتث تراقص الصمت الرهيب، كل الأشياء فيها تلوذ بالصمت والسكون المخيف، تحولت البيوت والمنازل إلى المقابر، الشوارع والدروب مجدولة بالغبار، والسماء تمطر القذائف المحرقة، إن لأجساد الشهداء رائحة، ولوجوههم طعم الانتظار، ولعيونهم بحلقة الغضب والانتقام، والظلال تتقيأ أجسادا تتدحرج كالأشباح بين تلك الحوارى والدروب على شواطئ النهر، أربعة من الأطفال الأبرياء والأيتام البؤساء ذاقوا أمر العذاب فى الليالى الأربعة، تحاصرهم كل الأشياء حتى الأشجار الوديعة تشهر أغصانها حرابا فى وجوههم، ويهمس لهم النهر المنهمر بما يشبه العتاب، وتطل عليهم الجبال الشامخات كالأشباح، والقرى لازالت حتثا تراقص الصمت المرعب المخيف، والسكون الرهيب، والظلام الدامس يحيطهم من كل جانب كالقبر، توسلوا إلى القمر فى السماء دون جدوى، وتوسلوا إلى بعض العصافير النائمة لتشدو موالا قصيرا يدخل السلوى مع النغم إلى النفوس، القمر لا يرسل نوره، والعصافير لا تفيق، كل شيء فى دروب القرى على شواطئ النهر المنهمر يوحى بالهول والرعب والخوف الشديد. فنام الصغار مع النائمين فى جانب من جوانب الدروب المبتلة بالدماء والدموع، تلتصق أجسادهم بالأرض شيئا فشيئا، وتذوب بالتدريج، كما يذوب الجليد فى الشمس الدافئة فى موسم الشتاء

جدة – المملكة العربية السعودية

٢٩- الأفغاني المسلم

هو يصنع انتصارا إسلاميا فى زمن القهر والضياع، على يديه يخضب الحقل الإسلامى، ويرتفع صداه، وتزغرد البندقية نشيدا للإسلام والعقيدة، إنه من فجر التاريخ الإسلامى يبتكر حضارة وبطولة، ويهب ذاته للعبة التحدى، وبصدره المجروح يقف للحراب ليدفع عن الجسد الإسلامى كله تمزقا وتفرقا..

ويظل عالى الجبين فى ألمه، فرح العطاء فى دمه، وفى العقيدة فى دينه، ولم ينس يوما أن الوطن أبعد من حدود النهرين الشهيرين.. أمو وأباسين، والإسلام موطنه ومعتقده فى حياته وبعد مماته..

أرض الإسلام مقدسة فى نظره وبصره، لها حبه ودمه، فى كل حفنة تراب من التراب الأفغانى يجد كيانه وذاته.. والوحدة الإسلامية قد صاغت فى أرضه وداره..

وهب الإسلام ذاته دون نداء استغاثة، ولم يشك أبدا حتى عتابا لسانيا حين رأى ذاته وحيدا أمام النار والدمار، وحين وجد نفسه غارقا فى الدموع والدماء. كأنهاره وبحاره يتدفق حبا ووفاء للإسلام والمسلمين، فما وحدة الإسلام والإيمان إلا فى إطار العقيدة الواحدة والهدف الواحد، لا تفرقها الرايات ولا الأعلام، ولا الشعارات ..

و ما أشد غباء أولئك الذين انتظروا منه عودة إلى الجاهلية الأولى، كم هم فى جاهليتهم يعمهون، وفى غيهم يعبثون، إنه وجه الإسلام حضارة خضراء، وإشراقة سمحاء، وعطاء غير مجذوذ، وسخاء غير مقطوع، حتى الشرايين والنياط..

إنه صانع المجد الإسلامى الخالد الذى ينتظره فى شوق الآمال والآلام الإسلامية، ولن يكون وحيدا، ولن يكون ضعيفا، لأنه هو الذى قد قام لأول مرة على وضع ونشر أول شريعة إسلامية بين النهرين الشهيرين.. أمو وأباسين، وعمر الأبراج فى البلاد الغورية والغزنوية من البلاد الأفغانية، وفى البلاد الهندية جهادا وسعيا لخدمة الإسلام ونشره ثم تثبيته فى النفوس والقلوب..

كفه الحب والود، وساعده المحبة والمودة تجيد امتشاق السيف، وصوابع يديه بنادق تجيد إصابة الأهداف بلا أخطاء. ومن التراث هو على الأصالة فى الميدانين وفى المجالين، هذا الأفغانى الصلب الشجاع تعب الزمان، و لم يتعب، هز المكان، و لم يهتز..

ما أنبلها **أفغانستان!** كم كان المسلم ينضح خجلا لضياع الأقصى والجولان وسيناء، ولضياع كشمير وأقاليم إسلامية كثيرة فى كل من آسيا وإفريقيا، لولا أن هلت **أفغانستان** تعيد البسمة للإسلام والمسلمين، وأطلت من خلف جدار الأزمان، ومن وراء الجبال.. جبال "سبين غر" و"هندوكش" و"بامير" تحمل بشرى.. ألا تهنوا يا إخوان، فالحرب سجال بين الكعبة والأوثان.. بين المسجد والأصنام.. سجال بين الحق والباطل، ما أنبلها **أفغانستان** المسلمة! أرض الجهاد والنضال ضد الكفر والإلحاد، والفساد..

الأفغانى المسلم لا يعترف إلا بقومية الإسلام، لأن القوميات الخاصة الطائفية، قد أدت دورا خطيرا فى إضعاف روح القومية الإسلامية فى الشعوب الإسلامية، ومن المعروف أن زرع مثل هذه القوميات الضيقة المبنية على العصبية العرقية فى العالم العربى والإسلامى من أنجح الوسائل التى اتخذها الاستعمار الشيوعى لتشتيت الشعوب الإسلامية، لم يكن من سبيل إلى تحقيق أطماعها وأهدافها الدنيئة إلا

بزرع العداوة القومية بين الشعوب الإسلامية، وتفريق كلمتها، وكل العالم يعترف ويذكر الحروب الإسلامية التى انتصر فيها المسلمون على المشركين، ولولا تأييد الله ونصره، ثم اتحاد كلمة المسلمين، واتفاق آرائهم، وإجماعهم على نصرة الحق، لما كان هذا النصر المبين. وانتصار الأفغان على قوى البغى والطغيان ليس إلا بوحدة الهدف والمبدأ، وهذا المبدأ هو الذى وحد بين الطوائف والقبائل والعشائر الأفغانية المتعددة، حيث لا يفرق بين مسلم من فئة، وآخر من فئة أخرى، وهذا المبدأ السامى هو الذى جعلهم بنية واحدة مع تشتت قومياتهم العصبية والعرقية الضيقة، و لم يكن انتصار المجاهدين المناضلين فى كونر وبنجشير وبكتيا إلا بفضل هذه الوحدة البنيوية القوية التى لا انفصام لها أبدا..

الأفغان المجاهدون جند الله ﴿**وما يعلم جنود ربك إلا هو**﴾ والحديث عن جنود الله فى زمن القهر، لا يدانيه ولا يطاوله حديث آخر فى العذوبة والتمتع، وجند الله أصناف وأنواع وألوان، إذ ليس المقصود من جند الله الملائكة فحسب، بل إن كل سبب من أسباب النصر الإلهى جند من جنود الله.. النعاس فى قوله تعالى: ﴿**إذ يغشيهم النعاس أمنة منه**﴾ جند لأنه سبب من أسباب النصر، وماء المطر فى قوله تعالى: ﴿**وينزل من السماء ماء ليطهركم به**﴾ نوع آخر من الجند، لأنه سبب من أسباب النصر، وهما جند من جنود الله، وإبعاد الشيطان فى قوله تعالى: ﴿**ويذهب عنكم رجز الشيطان**﴾ لون آخر من ألوان الجند، وكذلك الربط على القلوب وتثبيتها فى قوله تعالى: ﴿**وليربط على قلوبكم**﴾ جند من جند الله ينصر به المجاهدين المؤمنين. والمحاربون فى سبيل الله جند من جنود الله،: ﴿**وما يعلم جنود ربك إلا هو**﴾. والأفغان جند من جنود الله لأنهم يحاربون فى سبيله..

وبجنود الحق سطعت شمس الحق على كابل، وعلى غيرها من المدن الأفغانية، والجهاد فى سبيل الدفاع عن الإسلام ومبادئه القويمة عنوان حياة هذه الأمة المجاهدة المناضلة، والأمة التى لا تجاهد ولا تناضل أمة كتبت عليها المهانة والذلة، والمسكنة والفناء..

وتاريخ هذه الأمة المجندة يشهد على أنها لا تعتز بغير الجندية والجهاد، كانت أمة ضائعة يأكلها التفرق والتشتت والتمزق بين أودية تلك الجبال حتى جاء الإسلام، وفرض عليها الجهاد لإعلاء كلمة الحق فى الأرض فأصبحت بعد فترة أمة السيادة والعزة والمنعة والقوة، وها هى اليوم أصبحت فى موقف يتطلب من الشعوب الحرة العون للدفاع عن حقوقها، وهى تدرك حق الإدراك أن الجهاد والنضال المسلح هو الطريق الوحيد للخلاص والنجاة، وبغيره لن تقوم لها قائمة، وبدونه ستبقى أسيرة مضطهدة لأعدائها دائما، ولأن عدوها لا يعترف إلا بالقوة.

وبنصر المؤمنين قام هؤلاء الجند بتحقيق انتصارات باهرة، أذلوا بها الروس الأنجاس المعتدين، وحطموا بها كبرياءهم الفارغة، وأشعروهم بعزة الإسلام، وعظمة المسلم، وبمجد العقيدة الإسلامية، وهم فى إمكانهم أن يفعلوا بالروس الأنجاس وبعملائهم الخونة أكثر مما فعلوه، لو أن إخوانهم فى العقيدة، والشعوب المحبة للسلام والحرية وقفت بجانبهم، وأمدتهم بالمال والسلاح على أساس من الروابط والعلاقات الأخوية والإنسانية التى تربط بينهم وبين هذه الشعوب، والمجاهدون الأفغان قد أثبتوا بإيمانهم القوى أن فى المسلم طاقات هائلة لو أحسن استثمارها لأنتجت خيرا كثيرا، ولأحرزت نصرا كبيرا بإذن الله..

وتتسابق إلى مخيلتى صور مختلفة من الحياة التى يعيشها هؤلاء المجاهدون الأفغان اليوم على أرضهم.. أرض الجهاد والنضال، أرض الكفاح المسلح، هؤلاء المسلمون

الذين اندفعوا بإيمانهم يحملون بنادق قديمة لتعقب هؤلاء الأشرار المعتدين الذين داسوا كرامة أرضهم المسلمة، يحاربون بهذه البنادق العتيقة للاستيلاء على أسلحة عدوهم الحديثة. إننا نحن المسلمين نفخر ونعتز ونشد بقوة على أيدى هؤلاء المقاتلين التى لامست صلابتها صلابة الأرض التى أحبوها، ودافعو عنها، وضحوا فى سبيلها بأرواحهم الطاهرة، وقد دوخوا هؤلاء الأحلاف الذين ظنوا أنهم قادرون على زعزعة العقيدة الإسلامية الراسخة فى نفوسهم المؤمنة، خاب ظنهم، وبقى الصامتون الصادقون أمام قوى الشر والبغى والطغيان يتنقلون على أقدامهم فى جبال **أفغانستان** ووهادها، ويقفزون من قمة إلى قمة للوثوب على الفريصة، ويشيعون الرعب والرهبة والإرهاب. إن الإيمان القوى الذى يشيع فى قلوب هؤلاء القوم جعلهم قادرين على الصمود، وعلى الوقوف أمام تيار الإلحاد، وسيل الشيوعية الذى يهب على أرضهم من الشمال..

لا شىء يصنع النصر غير الإيمان بالله وبالنصر، إن الحب للأرض، والوفاء للدين، والتضحية فى سبيل الدفاع عن العقيدة سلاح هؤلاء الرجال من المقاتلين الأفغان الذين يحملون رؤوسهم فى أيديهم، وأكفانهم فوق أكتافهم، يدفعون بأسلحتهم المعتادة المتاحة فساد الشيوعية، واحتلالها البغيض الدامى عن أرضهم الطاهرة التى عاصرت الإسلام فمنحته العديد من أبناءها من الرؤوس والأدمغة النيرة التى كان لها دور فى الإسلام، وظل فى العلوم، ووزن فى التاريخ، وقيمة فى الفكر، وهى تمنحه اليوم الأبطال البواسل من رجال **أفغانستان**، أصحاب الوجوه الباسمة النيرة النضرة، وأصحاب القلوب والنفوس الطاهرة، واللحى الطويلة الكثيفة، الذين يجوبون أقاصى الجبال الشامخة، يذودون عن الحق، يدافعون عن العقيدة، يناضلون لاسترداد الحرية المسلوبة، وطرد الاحتلال الأحمر، والقضاء على

أعوانه وعملائه، هؤلاء هم أصحاب الشأن فى **أفغانستان** لأنهم حقا أصحاب الأرض، وأصحاب الحق، يدافعون عنها لتعيش فيها عقيدتهم حرة طليقة، ولترفرف فوق قممها ورباها وربوعها رايات الإسلام والحرية والاستقلال عالية رفرافة، فكان لهم شأن عظيم لدرجة اهتزت معها أركان روسيا الشيوعية فى موسكو، وسمع العالم كله أن فئة مؤمنة من رجال **أفغانستان** تصطاد وتحصد الآلاف من المحتلين المغتصبين، وأعوانهم فى كل مكان من **أفغانستان**.. فى كابل، وكندهار، وهرات، وفى بلخ، وبدخشان، وفى كونر ونكرهار ونورستان، وفى بكتيا وبكتيكا وغزنه، وفى غيرها من الأقاليم والمدن الأفغانية.. هذه هى الحقيقة الواقعة يعرفها كل من عرف الإيمان طريقه إلى قلبه، إنهم يصنعون النصر بالإيمان وحده.. والأفغانى المسلم وحده يصنع النصر فى زمن القهر والضياع، وفى يده تزغرد البندقية نشيدا للإسلام وحده.

حى الجامعة بجدة

١٤٠٣/١٢/١٤هـ = ١٩٨٣/٩/١٩م

٣٠- روسيا بين القبح والوحشية والكذب

الروسى القبيح، والروسى الوحشى الكاذب وجهان لعملة واحدة.. وجه قبيح فى السياسة، وفى السياسة الأفغانية بصفة خاصة، تختلف ألوانه وأصباغه بقدر ما تختلف مآربه وأهدافه وأطماعه الدنيئة التى أصبحت لطخة مشينة فوق لطخة على الوجه الروسى الكاذب، ومن شدة قبحه ودناءته لا يرى وجه الحق والعدل فى القضية الأفغانية الواضحة وضوحا أظهر من السماء وعلوها، ومن الشمس وضيائها، تراها كل العيون، وكل الأبصار بوضوح ماعدا العيون الروسية الملطخة بالأصباغ والألوان الشيوعية البغيضة..

أما الوجه الوحشى الكاذب للروسى القبيح فهو وحشيته فى **أفغانستان**، وحشيته فى قتل الشعب الأفغانى، وقتل عقيدته وكيانه، واغتيال وجوده، وذبح حريته بوحشية فاحشة بلا رحمة، مع ادعاءاته الكاذبة فى أنه نصير الشعوب المقهورة والمغلوبة على أمرها..

الوجه الروسى يخدع العالم وشعوبه، بينما الوجه الوحشى الكاذب يخيف الشعوب، ويقهرها قهرا، ويرعبها رعبا، ثم يسحقها سحقا بكل ما يملكه من الوحشية، ومن أدوات الدمار، ومن وسائل القهر والفناء، ونحن هنا فى **أفغانستان** نكره الوجهين.. الوجه القبيح للروسى القبيح الكاذب، والوجه الوحشى للروسى الوحشى المخادع، فالوجهان يسومان الشعب الأفغانى المسلم أسوأ العذاب، وأشده قبحا ووحشية، يسومان الشعوب القهر والذل، والبؤس والحرمان بوحشية شديدة، وفى خداع أشد لا مثيل له ولا نظير فى تاريخ القبح والوحشية فى عالم السياسة والاحتلال..

نحن نقرأ ونشاهد ونسمع ونتحقق من القبح الروسى والوحشية الروسية فنكره الروسى كرها شديدا - على طريقة أضعف الإيمان - لأننا نشاهد منه كل تلك البشاعة فى ذلك الوجه المصبوغ بألوان الخداع، وبأصباغ الوحشية، فنحن لا نملك إلا أن نكرهه أشد الكره، وأن نحاربه بكل ما نملكه من الوسائل المتواضعة، ومن قوة الإيمان الذى لا يتزعزع أبدا كالصخر..

هل يعقل وهل من المفهوم فى عالم العقل والمفاهيم المعقولة أن تكون كل هذه البشاعة، وكل هذا الخداع، وكل هذا القبح والوحشية لإنسان يتمتع بشىء من الإنسانية، أو بشىء من الأصالة الإنسانية؟ فالروسى وحشى فى صورة الإنسان، ومخادع كاذب فى صورة الإنسان السياسى، فلا هو إنسان، ولا هو سياسى بمعنى الإنسانية، وبمعنى السياسة، وإلا فأيهما الوجه الحقيقى للروسى الأصيل فى القبح والوحشية والخداع؟؟ سؤال له معنى، وكيف يكون له أى معنى، أو أى توجيه وسط هذا الطوفان والطغيان من المتناقضات الروسية بين القبح والوحشية، وبين الاحتلال والاستعمار الأحمر..

روسيا الشيوعية غيرها فى عالم الديانات، روسيا السياسية غيرها فى عالم الاقتصاد، روسيا الاستعمارية غيرها فى عالم الاحتلال العسكرى، روسيا المخادعة غيرها فى عالم الثالث، روسيا فى عالم القانون الدولى غيرها فى عالم شريعة الغاب، روسيا فى الطموحات والتطلعات والآمال غيرها فى الانحطاط والدناءة والانحدار الخلقى، إنها روسيا المخادعة.. عدوة الشعوب فى القرن العشرين..

طائرة مدنية كورية به ٢٦٩ راكبا مدنيا تدخل فى المجال الجوى الروسى خطأ وسهوا، فيسقطها صاروخ روسى، أطلقه قائد "سوخوى" الروسية، لماذا؟؟ لأنها دخلت المجال الجوى الروسى، لكن قوات روسية كاملة، مسلحة تسليحا حديثا،

تدخل **أفغانستان** وتحتلها احتلالا عسكريا خبيثا، وتقتل مئات الآلاف من الشهداء الأبرياء، لا بأس ولا تنديد، بل إعجاب بالقوة الحديدية التى تقتل الآلاف من الأفغان المسلمين المدنيين الأبرياء، كل ذلك عقلية روسية قبيحة، ووحشية روسية.. روسيا الاحتلال غير روسيا القيصرية..

وقى الله **أفغانستان**، ومن ورائها العالم الإسلامى من شر هذه الفئة الروسية الطاغية التى تتردد بين القبح والوحشية، تلك الفئة الخطيرة التى تقوم بقوة السلاح الفتاك على تفتيت الوحدة الوطنية الإسلامية، وإثارة الحروب، وإشاعة الدمار والهلاك والفناء فى ربوع **أفغانستان** المسلمة. لم تنته الحرب الضارية الطاغية التى خلفت من ورائها خرابا ودمارا وهلاكا بين الآلاف من الضحايا البريئة فى جميع أنحاء **أفغانستان**، ومازالت النار المدمرة مندلعة بين الحق والباطل، ومازال التقاتل والتناحر والاشتباكات، وأعمال التدمير والتخريب فوق التراب الأفغانى مستمرة بشدة، وهى تقضى يوميا على حياة عشرات من المدنيين الأبرياء، ليس لكل ذلك سبب غير هذه الفئة الظالمة الطاغية الباغية.. فئة الشيوعية الروسية، وفئة عملائها الخونة فى **أفغانستان**..

يا لها من فضيحة روسية قبيحة! روسيا المحتلة غير روسيا الفجائع الوحشية فى دنيا الاستعمار العسكرى، وهى بدورها غير روسيا الكاذبة.. لم تجف دماء الشهداء فى "ننكلام" و"كيراله = كرهاله" وفى غيرهما من ربوع "كونر" حتى فتحت ثغرة جديدة فى موقعة أخرى من البقاع الأفغانية الطاهرة بحيلة الدفاع الكاذب، والخداع المختلق، والدعاية الكاذبة، وبقلب الأكاذيب إلى الحقائق ظلما وبهتانا وتلفيقا..

يبدو أن فضيلة الصدق من الأشياء المجهولة تماما لدى الشيوعية والشيوعيين الذين يقومون بنشر الدعاية المضللة، وبتزوير الحقيقة لتحقيق أغراضهم وأطماعهم الدنيئة فى الاحتلال العسكرى، والاستعمار الحديث حتى المؤرخون فى النظم الشيوعية يكلفون بكتابة الوقائع والأحداث التاريخية مرات عديدة كى تناسب الأوضاع فى فترة سياسية معينة، وهذا ما يجرى فى بلاد الأفغان فى هذا العصر، وهذا ما يجرى الآن فى بعض الأحزاب الشيوعية فى أوربا الشرقية، وذلك لتبرئة النظام الشيوعى البغيض أيام الإرهابى لينين من صفة الإرهاب والعنف والقتل والتعذيب، فهؤلاء العملاء هنا وهناك يحاولون عبثا إضفاء صفة الإنسانية على حكم السفاح لينين الإرهابى الذى مارس فيه الشيوعيون المذابح الجماعية، وفنون التعذيب، والتنكيل بالمواطنين قبل أن يجيء دور ستالين لكى يكمل هذه المسيرة الإرهابية التى بدأها لينين فى عام ١٩٢٢م، لو طبقنا تلك الإجراءات اللاإنسانية التى طبقها كل من لينين وخليفته ستالين لوجدنا اليوم من ينفذها، ويطبقها بحذافيرها على الشعب الأفغانى، فقد بدأ العميل الأول نور محمد ترهكى مسيرة الإرهاب والتنكيل بالشعب الأفغانى، ويكملها اليوم عميل آخر من عملاء الشيوعية، وهو ببرك كارمل، وأساس المسيرتين الروسية والأفغانية واحد، وهو التنكيل بالشعب، بعد القيام بدعاية كاذبة مضللة لتنفيذ تلك المسيرة الوحشية القبيحة..

واليوم يمكن للباحث السياسى أن يتحدث عن حضارة الدجل السياسى التى تشارك فيها الأنظمة الشيوعية، وأجهزتها الفكرية والإعلامية التى تمارس فنون الإرهاب الفكرى والجسدى، وتحاكم المعارضين والمفكرين، وتزج بهم فى غياهب

السجون والمعتقلات والمصحات العقلية والعصبية، ومستشفيات المجانين، وأخيرا بعد إتمام كل هذه المراحل الإرهابية يأتى دور تنفيذ التصفية الجسدية بعنف..

هذا ما يجرى اليوم فى **أفغانستان** المنكوبة، تقوم بتطبيقه وتنفيذه بدقة وبعنف شديد روسيا الشيوعية بوجهها القبيح والوحشى الكاذب، وحمى الله بلادنا الإسلامية **أفغانستان** المجاهدة من شر هذا الوسواس الخناس.

حى الجامعة بجدة

١٤٠٣/١٢/٢٥هـ = ١٩٨٣/٩/٣٠م

obeikandl.com

٣١- المنشور الإنهاجر

إلى الذين يحاربون بالحجارة، وإلى الذين عليهم يتفرجون، إلى الواقفين الصامدين على أرض أحر من الجمر، إلى من يقارع ويصارع أعتى الطغاة، وأفظع القساة، إلى من يلاقى الحديد والنار بصدر قوى عار من كل أنواع الحماية والوقاية..

إلى فتيات أفغانيات فى عمر الزهور والورود، تصدت بكل تحد وإصرار، وبكل شجاعة وإقدام.. برشق الرصاصة والحجارة وبرمى الطهارة فى الأنهار..

إلى من يشاهد هذه المآسى القاسية، وفى قبضته الحديدية القوية سلاح صاح، به يتغنى، وبه يتفاخر بين المقاتلين، يزمجر قولا سديدا، ويعلن كرها شديدا، ولكنه فى صمت متوار، يعمل ليلا ونهارا دون تردد أو ملل..

إلى الذى لم يتحرك سلاحه، و لم تنطلق الشرارة من زناده، و لم يخرج درهم من هميانه، و لم يتحرك ضميره، وظل ساكنا ساكتا كالشيطان الأخرس لا يسمع نداء، ولا يلبى طلبا.. ولا يلتفت يمينا ولا شمالا، وهو فى غفلته يعمه..

يا من سماؤك تمطر ماء، وتطلع نبعا، وتفجر رعدا وبرقا ورعبا، وتنبت زهرا زكيا، وعشبا رطبا، يا من كوخك مأوى للريح الصرصر، وملجأ للفقر المطبق، وفى مسمعك دوى النذير، وعصف الهدير، وأنت من الرمل تبنى جدارا وبيتا، قبلت التحدى، فقبلت الصراع المرير والقراع الشديد، فأقم بالدماء جدار الرمال الذى لا يلين ولا يميل..

فتى الأفغان.. كل المساجد، وكل المعابد حتى المقابر، وحتى طيور البرارى، وأسماك الأنهار إليك تهاجر.. تغنى وتمجد هذا الحصار.. هذا الجهاد، وهذا

النضال، وأنت المجاهد، وأنت المناضل، إن دماءك تعشق أسوار بلاد الأفغان، وجبال الأفغان، دماؤك تغسل روحى الحزينة، وأرواح الشهداء فوق تلك الجبال، فوق تلك القمم والذرى، دماؤك تكسر سيف التردد عنا، كل أملى، وأمل الآخرين غيرى البقاء سويا على خندق واحد، لنكافح وننضال دون سقوط البلاد إلى الهاوية الدائمة، والشر المستطير..

وعبر مدارك البلاد الأفغانية تجرى الكواكب والنجوم، ترسل نورا يفض الغياهب والظلام لكل الأنام، ولكل المذاهب، ستبقى طويلا وحيدا شجاعا تقاتل وتناضل حزينا، يمر الخريف، وتعصف بوجهك ريح الشتاء، وثلج السماء، ولكن ستبقى تجاهد وتناضل وتقاتل ففى راحتيك جميع الوثائق.. وثائق النصر والظفر، وعندك أيضا جميع الحقائق.. حقائق النصر والظفر، وأنت جواد أصيل يسابق ويناضل، ستبقى تجاهد وتقاتل ولو زرعوا فى الطرق والدروب كل الألغام وكل المقاصل، فتى الأفغان، وقفت على جبهات القتال والنضال لتحمل وزر الأفغان باسم الإسلام..

فكنت الشجاع بحق، وكنت القائد بحق أيضا، وقد صممت ألا تجزىء هذا التحدى الخطير من العدو الأليم، إليك أوجه هذا النداء الدامى، وهذا الخطاب السامى، وأعلم ماذا يكون الجواب.. جواب المقاتل من أمثالك..

إلى من يعيش مع الأفعوان وبين الذئاب فى الجبال، وفى الأودية السحيقة، إلى من يصغى إلى الوحش مع الوحش، مع أعتى الوحوش بالحساب والنضال، إليك أغنى، لأنك مأوى التمنى، تمنى الأجيال من الأجيال المسلمة..

فالرحيل قد أضاع اعتبارى، وأضعف ظهرى ومسندى، وأفقد اتزانى، فوهن عظمى، وتراخى حسى وشعورى، وتحجم قلبى، وغدوت أسيرا لظنونى، ألوذ

بصمتى، فكل رصدى وترقبى الآن هو حنينى لدارى ومنزلى، وقد سيطر علىّ حزن مريض عتيق قد تفحم، أعيش رهين اضطهاد المجهول والقهر المضروب، فكفت يداى، وشلت خطاى، وتعطل فكرى وعقلى، وقفت به عند حد التنصل، وخفت بعد ذلك التوغل..

ونهر يسير بدون مياه، وأنقاض جسور هنا وهناك، وأنقاض مدن وقرى وعزب هنا وهناك، وحرائق فى الحقول والبساتين والحدائق فى كل مكان، فصرخت صرخة مدوية أنادى، وأنادى وأنادى.. أناديك أنت، لأنك آخر بطل وآخر فارس من الجيل المناضل المتميز، وعندك آخر العمل، وآخر الأمل.. ونسور الآمال لا تهاجر.

جـــــدة

١٤٠٣/١٢/٢٧هـ = ١٩٨٣/١٠/٢م

٣٢- مدينة كيراله (كرهاله)

كيراله:

تلك المدينة التى تقع على ملتقى نهرى بيج وأسمار، تلك المدينة التى تشتهر بالحلقات الدراسية التى تمتزج فيها العلوم الدينية بالثقافة العامة.. باللغات العربية والأفغانية(البشتونية) والدرية (الفارسية) تلك المدينة التى يشتهر علماؤها بالغزارة العلمية، والخلق الحسن، وطيبة النفس، وزيادة الكرم، ويشتهر أهلها بالتمسك بالتقاليد الإسلامية، والتردد على المساجد، والتودد مع من يتعلمون فيها من أمور الدين.ومن مساجدها المشهورة مسجدان كبيران.."لر جومات" ومعناه المسجد الأسفل، و"بر جومات" ومعناه المسجد الأعلى.وفيهما تنعقد حلقات دراسية يقوم علماؤها بالتدريس فيها..

مدينة كيراله (كرهاله) تنافس مدينة "أسعد آباد" عاصمة ولاية "كونر" فى كثير من الميادين العلمية والثقافية والاجتماعية، وتتميز مدينة كيرال (كرهاله) عن شقيقتها وجارتها أسعد آباد بكثرة العلماء، وبالتالى بكثرة حلقات الدرس والتدريس فى العلوم الدينية والأدبية، وإن كانت الثانية أشهر منها حيث إنها حاضرة للولاية، وبها الدوائر الحكومية والمحلات التجارية، أما من الناحية التاريخية فإن مدينة كيراله (كرهاله) تتميز بالآثار التاريخية التى لا توجد فى شقيقتها الجارة المنافسة لها فى المجالات المختلفة..

المدينة العلمية الفاضلة الباسلة الهادئة التى تغطى أشجار التوت والتين، وبساتين العنب منازلها الريفية، وتحيط بها حقول القمح والأرز والذرة، وتحتضن أشهر أنهار كونر.. نهر بيج الذى يشق طريقه غربا وشرقا بين الأودية السحيقة، والجبال

الشاهقة، حتى يخترق مجـراه العميـق بـين المدينتـين المتنافسـتين.. كيرالـه (كرهالـه) وأسـعد آبـاد. ونهـر أسمـار الشـهير الـذى يرتمـى فـى أحضـان "كيرالـه" آتيـا مـن "كامديش" متجها إلى أسعد آباد، مارا بأسمار المدينة التاريخية، والقاعدة العسـكرية الشهيرة فى أعالى وادى كونر أرض البطولة والفداء.. موطـن السـيد جمـال الديـن الأفغانى بطل الصحوة الإسلامية فى العصر الحديث..

هذه المدينة العلمية الفاضلة الباسلة قد شاهدت بكلتا عينيها بشاعة تلك المذبحة الرهيبة، والوحشـية التـى قـام بتنفيذهـا المستشـارون العسـكريون الـروس الأنجـاس البرابرة، والضباط القساة مـن عملائهـم الذيـن بـاعوا دينهـم وعقيدتهـم ووطنهـم للشيطان الأحمر، وقد استشهد فيهـا خـيرة شـبابها وشـيبها مـن العلمـاء والمثقفـين والأعيان، إن مذبحة كيراله (كرهاله) أبشع مذبحة تشـهدها **أفغانسـتان**، فقـد فعـل الروس والعملاء فيها بالأفغان أكثر مما فعله الإسرائيليون والألمان النـازيون بـالعرب واليهود، وأكثر مما فعله المستعمرون الإيطاليون بأنصار ثورة عمر المختار فى ليبيا..

جثـة فتـاة أفغانيـة مسـلمة مـن قبـائل "الصافيـة" تدعـى "ملاليـا" وقـد تركهـا الإرهابيون الروس الأنجاس وعملاؤهم الخونة أشـلاء ممزقـة فـى الطريـق العـام بـين المسجدين الكبيرين المشهورين فى وسط المدينة الباسلة، لا يريد أحد أن يدفنها فـى مقبرة جماعية كغيرها من الشهداء، بغرض إلقاء الرعب فى قلوب الأهالى من مدينة كيراله (كرهالـه) كـانت الفتـاة الصافيـة المسـلمة مـن المجاهدات الأفغانيـات التـى انضمت إلى صف الجهاد والمجاهدين بعـد أن قـام الـروس وأعوانهـم مـن العمـلاء بإحراق مدينة "ننـكلام" وبتدمير قرية "شمونـد" وقتل وتشريد أهلهمـا بـين القـرى المتناثرة على جانبى النهر من "بارون" و"رايكل" فى أعـالى الجبـال بـوادى "بيـج"،

وحتى قصبة "وتبور" بالقرب من مدينتى "كيراله" وأسعد آباد الحاضرة فى الأجزاء السفلى من ذلك الوادى الضيق الشديد الانحناء والانعطاف..

كانت جثة الفتاة المسلمة المناضلة "ملاليا" أشلاء ممزقة ملقاة على قارعة الطريق العام بين روائح اللحم البشرى على طرفى المدينة وبين المسجدين الكبيرين اللذين قد اتخذهما الإرهابيون كمعتقلات إرهابية لتنفيذ المذبحة الرهيبة، وكانت بقايا مخها قد سالت فوق التراب الملطخ بالدم المحترق، ترفرف فوقها روحها الطاهرة تنادى بالثأر لأرواح الشهداء فى كل من "ننكلام" و"شموند" و"كيراله" (كرهاله)..

كانت أسراب الذباب الكثيف قد تجمعت فوق الدماء الكثيفة، وشفتا الفتاة الشهيدة كانتا مفتوحتين بابتسامة خفية كأنهما تقولان: لا لحياة الذل والهوان على مشارف النهر فى زمن القهر الأحمر فى هذا الوادى الأخضر السندسى، إننى ذاهبة لأعانق الحياة الأبدية فى جنة الخلد مع الخالدين من الشهداء الأبرار من أهالى هذه الديار..

وكانت أسراب النسور والصقور تحلق فى الأجواء، ولم تكف عن الحداء والحداد، وكانت أصواتها تمتزج برجع الصدى بين جنبات الجبال العالية على ضفاف النهر المنهمر، بالرغم من تلك اليد السوداء.. يد الإجرام والإرهاب التى حولت مياه أجمل الأنهار إلى بحر من الدماء.. إن أجمل الأنهار هو ذلك النهر الذى تحول ماؤه دما، وأجمل الفتيات هن تلك اللوائى ضحين بحياتهن فى مذبحة كيراله (كرهاله) الدموية، وعلى رأسهن "ملاليا" البطلة الشهيدة، وأجمل أيام الجهاد والنضال والكفاح هى تلك التى تم فيها تنفيذ تلك المجزرة الرهيبة، وهذه الأيام، وهؤلاء الفتيات، وتلك الأنهار بجمالها ورونقها وروعتها أشدها حزنا وألما،

وأعظمها رهبة، وأكثرها رعبا وتخويفا، إن هذه التعبيرات الدموية المتناقضة لها مبرراتها النفسية والدموية بأنواعها وألوانها الأرجوانية الوردية..

من "ننكلام" إلى كيراله (كرهاله).. بعد أن قام الإرهابيون الروس والعملاء الخونة بإحراق مدينة ننكلام كبرى المدن فى وادى بيج، التفتوا وتوجهوا إلى مدينة كيراله (كرهاله) الحصن الحصين للجهاد والنضال الإسلامى، وعلى مدى أيام قاسية من البحث والفحص، ومن الحصار والدثار، ومن التخريب والدمار، قاموا بتنفيذ هذه المذبحة الرهيبة التى راح ضحيتها من خيرة الشباب فى النضال بالإضافة إلى العلماء والشيوخ والنساء والمراهقات والأطفال.. وكان العالم مطمئنا عندما وقعت هذه الواقعة، وكانت كيراله تنام على أنين الجرحى غارقة فى دماء الشهداء، بعدما كانت تنام على دوى الانفجارات، وبعد ما كانت تستنشق الدخان الصاعد والآتى من حريق ننكلام، قام الإرهابيون بقتل من قتل، وبسرقة ما لذ وطاب من الأمتعة والبضائع والأشياء النفيسة، ثم دخلوا المسجدين بالنعال، ودنسوا أرضهما الطاهرة المقدسة بالأقدام القذرة، وأغرقوهما بالدماء، وانتشرت رائحة الموت والهلاك، وأسراب الذباب، وأكوام الجثث فى كل مكان، وفى كل ركن من الأركان.. فى الطرق والشوارع والدروب.. تحت العربات، وفوق الأنقاض، فى مداخل الحارات والأزقة، وفى أبواب البيوت والقصور والمنازل.. كومة من الجثث تشابكت أرجلها وأيديها كأنها تحتمى ببعضها من قسوة الإرهاب والموت والإهلاك، كانت عيونهم مفتوحة ومتشنجة، وكانت بالقرب من جثة "ملاليا" جثث عدد من النساء، وجثث عدد كبير من الأطفال من بينها جثة امرأة مستلقية على ظهرها، وإلى جانبها رأس طفلة بريئة بدون جسد، تنظر

إلى القتلة المجرمين بغضب شديد، وبجوار المسجد اصطف عدد كبير من الجثث مربوطة الأيدى لفتية من خيرة شباب كيراله الجريحة..

ووسط كومة من القمامة تمدد جسد الشيخ "محمد خان صافى" البالغ من العمر سبعين عاما، وقد اخترقت رصاصة الإرهاب والموت صدغه الأيسر، وبجواره عكازه، وبدا شعره الأبيض من تحت عمامته الأفغانية البيضاء، ولحيته الكثيفة البيضاء ملطخة بالدماء، وهناك أكوام متفرقة من أنقاض المنازل كومتها الجرافات فوق جثث الشهداء، برزت من وسطها أزرع الضحايا وأرجلهم.وفى المقبرة الجماعية تجمدت الدماء وأسراب الذباب فوق القبور، وآثار الجرافات والبلدوزرات على الطريق بين الحقول المؤدية إلى القبور الجماعية ملوثة بدماء الشهداء الأبرار الأبرياء من النساء والأطفال والشيوخ، وأرواحهم تنادى بالانتقام، وتطلب بالثأر..

إن كيراله (كرهاله) لا تنام، وهى تطالب بالانتقام، وتخبر الناجين من الموت الأحمر فى المذبحة الحمراء الدامية بأنها لن تنام قبل الانتقام،ولن تهدأ إلا بعد الثأر، فليدفن القتلى، فليدفن الشهداء فى القبور بالدموع والدماء، لتتفرغ هى للانتقام لتفرح أرواح الشهداء مرفرفة فوق القبور، وفوق هذه الديار.

جـــــدة

١٤٠٣/١٢/٢٨هـ = ١٩٨٣/١٠/٣م

٣٣- الإسلام يدعو إلى التوحيد

تصيب التنظيمات الإسلامية التى تناضل وتقاتل لتحرير **أفغانستان**، تصيبها من حين لآخر سهام أعدائها القاتلة، وبعض أبناء هذه التنظيمات الأفغانية متخلف وقاصر من إدراك الآثار السيئة التى ما يظل يعانى منها آمادا قصيرة، وقد تطول وتستمر إلى أمد غير محدود، شأنها فى ذلك شأن العالم الإسلامى كله.

إن الفترة الحالية التى تمر بها هذه التنظيمات الجهادية من أشد الفترات حزنا وآلاما وآمالا نظرا لكثرة القضايا السياسية والعسكرية وتنوعها بجانب تنوع الخلافات وتعدد النظريات السياسية بين التنظيمات المختلفة، ففى داخل التنظيمات السياسية، والفصائل الجهادية لتحرير **أفغانستان** ضروب وألوان وأنواع من الخلافات والتباينات والمفارقات فى الميادين السياسية والعسكرية والحزبية، قد تكون أقل ضررا من غيرها فى بعض الحالات وفى بعض الساحات إلا أنها عظيمة الأثر وجليلة الخطر فى الساحة الجهادية والنضالية.

يحدث هذا فى بعض التنظيمات الأفغانية وغير الأفغانية دون وعى كامل لأوامر الله الذى يدعو إلى التوحيد، ويأمر بجمع كلمة الأمة الإسلامية عامة، وبجمع الكلمة فى ساحات الجهاد، وفى ميادين القتال والنضال والكفاح خاصة، ويطالب ويلح بإصلاح ذات البين، والإبقاء على روابط الأخوة الإسلامية سليمة قوية فعالة فى جميع أنحاء الحياة.. فى الحياة الاجتماعية والجهادية.

فمن **أفغانستان** إلى لبنان، إلى فلسطين، إلى المسلمين فى الفيلبين، إلى تنظيمات النضال والكفاح فى إريتريا، وفى غيرها من المستضعفين والمضطهدين والمعذبين والمشردين فى عالمنا اليوم، نرى مدى شقة الخلاف، والحقد الشديد الذى يكنه

الأعداء من الداخل ومن الخارج تجاه الإسلام والمسلمين، ومع هذ فإن التنظيمات والأحزاب الإسلامية لا تتخذ ذلك عبرة وموعظة، وبالتالى لا تتخذ خطوات عملية فى سبيل توحيد كلمة كتائب الجهاد، وفصائل القتال والنضال.

والعجيب فى الأمر أن تخالف تلك التنظيمات أمر الله الذى يدعو إلى التوحيد، مع أنها تؤمن إيمانا قاطعا بأن ما أمر الله به إنما هو لصالح المسلمين والبشرية جمعاء، لأن الله تعالى غنى عنا وعن أعمالنا، وأخطر من هذا أن تظل غافلة عما صدر لنا من نهى، وما صحبه من وعيد صريح فى هذا الشأن، فيا أيها المسلمون يجب علينا الاستيقاظ من هذه الغفلة الطويلة القاتلة، يجب علينا الوعى بما يحاك لنا من حولنا، والله سبحانه وتعالى يناديكم ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم**﴾ وعلى المسلمين خارج تلك التنظيمات أن يبذلوا كل جهد للمصالحة بين هذه التنظيمات الإسلامية لتوحد كلمتها، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿**وإن طائفتان من المسلمين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين**﴾

إن أوضاع المسلمين فى **أفغانستان** تتعرض لظروف قاسية، ولضروب شتى من الصعوبات والعراقيل والمشاكل التى لا تكاد تحصى، ومن المآسى والآلام والمجاعة التى من المستحيل وصفها أو بيانها، الأمر الذى يطلب إلى تلك التنظيمات السياسية والفصائل الجهادية، والكتائب النضالية، وجماعات المهاجرين فى سبيل الله فى كل من باكستان وإيران أن تلتفت إلى الغزو الروسى، وإلى مقاومته بكل ما تملكه من القوة، وأن تتنازل عن خلافاتها التى لا تأتى إلا بالعار، ولا تجلب إلا الهزيمة.

فهل يتم الوفاق الإسلامى والوطنى بين الرفاق والإخوة الأشقاء، وتعود التنظيمات متحدة متلاحمة؟ هل ينجح الأفغان فى اختبار التوحيد الذى فشل فيه غيرهم، ويتناسون الماضى بكل فواجعه وأحزانه ومحنه وأحقاده؟ هل تعود الفصائل الأفغانية إلى لغة الحوار والتصافى والتعاون بعد أن تصدع أساس الاتحاد الإسلامى وكاد أن يهوى إلى الكارثة؟!

والأسئلة الملحة التى تطرح نفسها فى هذه الأيام كثيرة ومتشعبة، ولا يمكن الإجابة عليها بنعم أو لا حتى تنقشع كل الغيوم المتلبدة فى سماء **أفغانستان**، علما أن مسحة التشاؤم هى الغالبة على وجهة نظر المهتمين بأحداث القضية الأفغانية، وذلك نظرا للتباعد والتنافر الموجود فى أفكار قادة التنظيمات الأفغانية الكبرى.

إن كل أفغانى سواء فى الوطن أو فى المهجر والاغتراب وإن كل مسلم فى جميع أنحاء العالم يطالب بقوة ويؤيد بقوة أشد مثل هذه الخطوات لتوحيد الصف والكلمة بين كتائب الجهاد وفصائل النضال والقتال الأفغانية، إن متطلبات كل الأفغانيين كانت ولا تزال منذ البداية وحتى الآن: تحرير الأرض الأفغانية مع إصرار الجميع على قيام نظام سياسى إسلامى فى **أفغانستان** الحرة يوافق عليه الشعب الأفغانى المسلم دون تدخل أجنبى. والمطلوب من قادة الشعب الأفغانى، ومن ممثليه أن يكونوا الأسوة الحسنة فيرتفعوا إلى مستوى المسئوليات التاريخية التى تحتمها هذه اللحظات الحاسمة من تاريخ المسلمين فى **أفغانستان**، والوطن الأفغانى ينادى ويناشد الجميع من أجل تناسى الأحقاد والضغائن، والعودة إلى تحكيم العقل والمنطق والمصلحة العامة بدلا من الكراهية والتنافر والأحقاد، إن المهمة شاقة وطويلة، ولكنها ليست بالمستحيلة متى توحدت النيات والإرادات، وتصافت

النفوس والقلوب، فهل ينجح القادة فى **أفغانستان** فى اختبار دعوة الإسلام إلى التوحيد؟

إننى ما زلت مؤمنا بقدرة التنظيمات الأفغانية والأحزاب الإسلامية، وبقدرة الفضائل الجهادية والكتائب النضالية العملاقة على الخروج من هذه الأزمة متى أحسن ساستها وقادتها استثمار الطاقات الكامنة فيها، وما أكثرها! بالرغم من أن أهل **أفغانستان** قد أحاط الأعداء به فى يأس وهو الآن يحتضر، ولكنه محتضر لن يموت أبدا.

إن المعارك بين الحق والباطل حامية ودامية، والخلافات بين القادة صعبة وقاسية، والاحتلال الروسى يغتال فى تلك المعارك الضارية الدامية شخصية الشعب الأفغانى وهويته الإسلامية، ويجهز فيها على أصالته التاريخية، وعلى قوميته العريقة، والأمة الأفغانية ترد على التحدى بالصمود، لأن المعركة مصيرية قوامها أن تكون الأمة الأفغانية أو لا تكون! أما القادة.. قادة التنظيمات الجهادية والفصائل النضالية فهم غارقون تائهون فى خضم الخلافات الحزبية!

ماذا يريد الإسلام للأمة الإسلامية عامة، وللأمة الأفغانية خاصة ولزعماء التنظيمات بالأخص؟ لا خلاف فى أن الأمة الأفغانية تواجه اليوم تحديات عنيفة، وتتعرض لأخطار جسيمة تهدد وحدتها وتماسكها، والنيل من كيانها، شأنها فى ذلك شأن الأمة الإسلامية فى كل مكان فى هذا العالم المضطرب، هذه الظروف والأحوال الخطيرة تفرض على الزعماء أن يلتمسوا سبل إنقاذ الأمة من معاناتها، وأن يتبينوا معالم الطريق الذى يحقق أمانيها الإسلامية والقومية ليضمنوا لها الانتصار على أعدائها والمتآمرين على مصالحها الوطنية والقومية.

ومع كل ما يواجهه الزعماء من مظاهر الفرقة والصراع، ومع كل ما تعانيه الأمة من تمزق، وما تتعرض له من مكائد وفتن ومؤامرات، إلا أن هناك سبيلا يستطيع الزعماء أن يجتازوا من خلاله هذه الأخطار بنجاح، وهو سبيل العودة إلى الوحدة الإسلامية التى تدعو إلى التوحيد، وذلك لأننا لن نتمكن من الانتصار على المؤامرات والمكائد والفتن إلا بتوحيد الصفوف، وليس بالأمانى والخطب، وعلى الذين يحاربون أن يضغطوا على زعمائهم لاتخاذ هذه الإجراءات اللازمة كخطوات عملية فى سبيل التوحيد الذى يدعو إليه الإسلام:

١- العمل الجاد على تأليف القلوب.

٢- تطهير النفوس والضمائر وتنقيتها.

٣- صفاء النيات للعمل الإسلامى الجاد.

لاشك فى أن تأليف القلوب حول الهدف والانتصار من الشروط الأساسية لنجاح المسيرة الإسلامية، وهذا هو مفهوم وحدة الكلمة، وتوحيد الصف وتحقيق الهدف والنصر المبين.

ويجب تطهير النفوس ليكون العمل ترجمة حقيقية صادقة لما تنطوى عليه من الحب والود، ومن الخير والسلام، ومن التعاضد والتآزر، وإذا ما تطهرت النفوس أصبحت الأعمال صالحة خالصة مؤثرة، وأصبح النصر قريبا لنصرة دين الله وإعلاء كلمته فى الآفاق.

والخطوة الثالثة هى صفاء النيات للقيام بالعمل الإسلامى والوطنى الجاد لتحرير البلاد والعباد من الاحتلال وهذه الخطوة أيضا من الركائز الأساسية لمثل هذا العمل، وكم تعانى الأمم من أزمات حادة تعود فى حقيقتها إلى استغلال المحتلين واعتمادهم على تقويض الثقة بين أبناء أمة من الأمم، فإذا خلصت النوايا، وتم

السعى الحثيث إلى تعزيز جسور الثقة فيما بين هؤلاء الزعماء، استطاعوا إحباط كل المؤامرات والمكائد الدنيئة، وتمكنوا من تحرير البلاد والعباد، وتم لهم النصر المؤزر بإذن الله.

إن السير على هذه الخطوات، والالتزام الدقيق بهذه الخطا فى إطار أى تحرك إسلامى أو قومى لكفيل بأن يحقق النجاح، ويعين الأمة على مواجهة التحديات، وكما يعنيها على توحيد صفوفها وطاقاتها وإمكانياتها المادية والمعنوية من أجل تحرير الوطن واستعادة الحقوق المغتصبة.. إننا نطالب ونخاطب ضمير الأمة الأفغانية، وضمائر زعماء التنظيمات الأفغانية فى هذه المرحلة الحرجة الخطيرة من تاريخ **أفغانستان** الجريحة، بتطهير النفوس، وصفاء النيات، وتأليف القلوب، والاعتصام بحبل الله، لتصبح أعمالهم جديرة بأن تكون لله فى سبيل تحرير الوطن.

إن تاريخ الأمة الأفغانية المسلمة ملىء بالأمجاد الإسلامية، زاخر بالانتصارات فى معارك الجهاد فى سبيل إعلاء كلمة الحق، فإذا خلصت النوايا، وتصافت القلوب، وتصادق القول، وأصبح الإيمان الصادق يملأ قلوبنا يقينا وثقة بالنصر، فإن النصر سيكون حليفنا دائما، وبالتالى فإنه لن يخيفنا عدو مهما بلغ من القوة والجبروت.

إن ما تعانيه أمتنا الإسلامية فى **أفغانستان** المجاهدة المناضلة وما تشهده من جراح ومآسى وآلام ومعاناة ليس سوى نتيجة للخلافات والأحقاد والأطماع والمؤامرات الدنيئة التى ينفذها أعداء هذه الأمة المسلمة الباسلة، ولولا الفرقة لما كان لهذه الجرائم أن تنجح، هذه الفرقة هى التى باعدت بين أبناء **أفغانستان** كما باعدت بينهم وبين النصر.

فإنه لا خلاص لهذه الأمة الأفغانية إلا بالعودة إلى التضامن والتوحيد، وبتغيير ما فى النفوس، وبالمصادفة الصادقة بين الإخوة والأشقاء ورفاق الدرب، إن الأمة الأفغانية تعانى اليوم من فرقة الكلمة، واختلاف الرأى فى وقت تدعو فيه الحاجة الماسة والضرورة الملحة إلى حشد القوى والطاقات والإمكانيات لمواجهة أعداء هذه الأمة المسلمة، والقضاء على أطماعهم الخبيثة، وإحباط مؤامراتهم الدنيئة، وإنهاء أحقادهم وأخطارهم الجسيمة.

هذا الوضع الشاذ الذى تعيشه الأحزاب الأفغانية فى الوقت الحاضر يجعلنا نتألم أسى وحسرة شديدة على جهادهم المخلص لتحرير البلاد وتطهير العباد من أوحش الاستعمار، ويجعلنا نرفع أكف التضرع داعين الله أن يعيد أيام الجهاد الخوالى التى كانت فيها هذه الأحزاب سيدة الموقف، إن الموقف الحالى يتطلب عودة الأحزاب الإسلامية والقوى الوطنية الأفغانية إلى التضامن والوقوف صفا واحدا أمام العدو المتربص بالإسلام، وبالمسلمين فى بلاد الأفغان، إن اختلاف هذه التنظيمات وتفرقها أدى إلى أن تعيش البلاد الأفغانية فى حوادث مستمرة، وأن تكون لقمة سائغة لروسيا الشيوعية الطامعة فى خيراتها وفى مواقعها الإستراتيجية. وتمر على الاحتلال الروسى **لأفغانستان** أعوام والتنظيمات الجهادية تعيش فى دوامة الزعامة متناسية فى ذلك الاحتلال البغيض الذى نراه قابعا فى بلادنا الجريحة. والخوف كل الخوف إذا استمرت فصائل الجهاد الأفغانى على هذا الوضع المؤسف أن يأتى اليوم الذى نجد فيه البلاد جزءا من روسيا الشيوعية كبقية الجمهوريات الإسلامية، فعلى التنظيمات الأفغانية أن تقف وقفة واحدة تقضى على كل الاختلافات والتناقضات التى وصلت إلى الحد الذى يقتل فيه الأخ أخاه، عليها أن تعود إلى الوحدة والنضال والنزال ضد العدو المشترك، وذلك قبل فوات

الأوان ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**﴾ ولابد هنا من الإشادة بالروح الجهادية الخالصة التى يتمتع بها المجاهدون والمقاتلون الأفغان الصامدون داخل **أفغانستان** أمام أقوى قوة عاتية فى الأرض التى تنشر سمومها وتثير الفزع والرعب فى ربوع **أفغانستان**، فالصمود فى هذه السنوات من الاحتلال الأحمر أمام هذا العدو الحاقد ليس بالأمر السهل، لكن قوة الإيمان هى التى جعلت الصمود صامدا، وجعلت الجهاد مستمرا، وجعلت العدو قلقا مضطربا، ولذلك ندعو المسلمين فى كل من لبنان وفلسطين وفى غيرهما من البقاع أن يعودوا إلى سلاح الإيمان الذى يتمتع به المجاهدون والمقاتلون الأفغان داخل الأرض الأفغانية.

أما آن الأوان لأولئك الفرسان أن يثبتوا ويحققوا الوحدة كما حققوا فى الجهاد والنضال معجزات؟ لا شك أن المسئوليات شاقة، والدروب طويلة ووعرة، والوديان عميقة ومخيفة، والسهول واسعة وموحشة، والهضاب كثيرة ومتعددة، والتلال بلا حدود ولا رسوم، إلا أننا جميعا نسأل الله صادقين مخلصين أن يأخذ بأيدى المسئولين فى التنظيمات الأفغانية، وأن يوحد كلمتهم على الحق، لكى يشقوا الطريق بثبات ورباطة جأش فى التفانى والإخلاص لصالح الجهاد والنضال لتحرير البلاد والعباد من ربقة الاحتلال والنكال.

حى الثغر بجدة

١٤٠٤/١/٢٢هـ = ١٩٨٣/١٠/٢٨م = ١٣٦٢/٨/٦هـ ش

٤٣- المارد الأفغاني يشعل حركة التمرد في العالم

رغم كل الاحتياطات العسكرية والأمنية الروسية فى **أفغانستان**، ورغم كل الحملات الإرهابية المشينة التى تشنها قوات الاحتلال الروسية لمساعدة العملاء والخونة فى **أفغانستان**، ورغم تصريحات التهديد والتخويف، والويل والوعيد، رغم كل هذه الأعمال الإرهابية تقوم قوات المجاهدين فى **أفغانستان** بتنفيذ عملياتهم القتالية فى جميع أنحاء البلاد الأفغانية من الشرق إلى الغرب، ومن الجنوب إلى الشمال، وحتى فى داخل الجمهوريات الإسلامية التى تحتلها روسيا، وقد أحدثت هذه العمليات القتالية الأفغانية الناجحة موجة من التمرد بين الشعوب المستضعفة فى الأرض، كما أحدثت موجة شديدة من الذعر والخوف بين الصفوف فى قوات الاحتلال الروسى، القوات العميلة التى أدهشها أن يتمكن المقاتلون الأفغان من اختراق التدابير العسكرية الروسية، والإجراءات الأمنية المكثفة التى تتخذها جماعات العملاء فى كابل، الأمر الذى يدل بوضوح على أن المقاومة الأفغانية قادرة فى كل وقت، وفى جميع أنحاء **أفغانستان** على القيام بتنفيذ عمليات جريئة وناجحة ومؤثرة، وأن دماء الشهداء الأفغان التى تسيل بغزارة كل يوم فى الكفاح المسلح ضد الاحتلال الروسى وعملائه الخونة، لن تذهب هدرا، ولن تضيع سدى، وأن حساب الروس والعملاء فى منازل الأفغان سيكون عسيرا وصعبا.. ولن يفلت حراس الستار الحديدى، ولا عملاؤهم من الخونة فى **أفغانستان** من هذا الحساب العسير الصعب الذى سيقوم به المارد الأفغانى بإذن الله.

إن الأفغانيين هم وحدهم أعلنوا التمرد، وهم الوحيدون الذين حملوا السلاح، وقاموا فى طريق العدو بالمرصاد، وهم وحدهم يحاربون أكبر قوة على وجه

الأرض، منذ أكثر من أربع سنوات قاسية قضوها فى حرب دامية غير متكافئة، وقد دافعوا بقوة، ولا يزالون يدافعون بأقل الأسلحة رغم النقص الشديد فى السلاح والمواد الغذائية والذخيرة.. يدافعون عن وطنهم، وعن كيانهم فى هذا الوجود، وعن دينهم وعقيدتهم، وعن استقلالهم وحريتهم، وعن مبدئهم وحقهم فى الحياة..

إن المقاومة الأفغانية ضد الاحتلال الروسى فى **أفغانستان** تمرد إسلامى ثورى مؤثر، لم يحدث مثله فى العصر الحديث، قد أثار حركة تمرد عظيمة فى جميع أنحاء العالم، وخاصة فى الشعوب المستضعفة فى الأرض، ومميزة الأفغان فى تمردهم الإسلامى الثورى المؤثر العظيم، وفى حربهم المدمرة القاسية أنهم يحاربون بمفردهم، وتمردوا بحريتهم وإرادتهم دون مؤثرات خارجية، أو مساعدة أو معونة ذات تأثير تقدم لهم من الخارج، وسلاحهم فى تمردهم الإسلامى هو اعتمادهم على إيمانهم وبحقهم فى الحرية والاستقلال، إن كل هؤلاء الإعلاميين الغربيين الذين دخلوا **أفغانستان** مع المقاتلين الأفغان، وتحت حماية نيرانهم، يعترفون بذلك، ويتهمون الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من الدول الأوربية التى تنادى وتطالب بحرية الشعوب فى تقرير مصيرها بالتقصير فى الضغط على روسيا الشيوعية، أو المساومة معها لتسحب قواتها من **أفغانستان**، ويتهمونها كذلك بأنها لا تمد المجاهدين الأفغان وأسرهم المهاجرة إلى خارج الحدود الحديدية المفروضة على الشعب الأفغانى فى بلاده، بالأغذية الكافية ولا بالسلاح الكافى، وهم بالإضافة إلى ذلك يعترفون بأن الأفغانيين.. المجاهدين منهم والمهاجرين يعانون نقصا شديدا فى الأغذية والمواد التموينية..

إن التمرد الأفغانى ضد الاحتلال العسكرى الروسى **لأفغانستان**، والبسالة الأفغانية فى هذه الحرب من المبادئ الفريدة النادرة فى عالم اليوم، ليس لها مثيل على الإطلاق، وإذا كان التمرد الأفغانى المسلم تمردا فريدا عاتيا، وإذا كانت البسالة الأفغانية نادرة عاتية تئن منها روسيا العسكرية، وتدفع من جرائها أقدح الثمن من اقتصادها ورجالها وسمعتها الدولية، فإن لهذا التمرد، ولهذه البسالة آثارا عالمية أخرى ذات تأثير بعيد المدى فى حركة التمرد العالمية، ذلك لأن التمرد الأفغانى هو الذى شجع الشعوب المختلفة على القيام فى وجه العتاة من الجبابرة الروس الأنجاس، وأعلنت التمرد عليهم، ذلك التمرد الذى تواجهه موسكو وحكامها الذين فرضوا أنفسهم على الشعب الروسى المسكين، كما أنه ذو تأثير فعال فى حركة تمرد المستضعفين فى العالم من قريب أو بعيد..

١ـ التمرد البولونى: إن هذا التمرد الخطير قد أعلنته لجنة التضامن العمالية البولونية التى ترفض أن تتنازل عن حقوق الشعب البولونى، أو أن يتنازل زعماء الحرية من المفكرين البولونيين عن التحرر عن ربقة النظام المفروض على الدولة والحكومة البولونية من حكام موسكو، وذلك رغم كل الضغوط والمساومات التى تقوم بها سلطات النظام الشيوعى فى بولندا بضغط من السلطات الشيوعية التى تتحكم فيها من وراء الستار الحديدى الروسى المظلم، وبما أن الدولة فى بولونيا تعتمد كثيرا على المساعدات الاقتصادية التى تحصل عليها من الغرب، نظرا لهذه المساعدات لم تقدم روسيا حتى الآن على التدخل العسكرى للقضاء على التمرد الذى أعلنته منظمة التضامن العمالية فى بولونيا، ومن هنا فقد أصبح تمرد لجنة التضامن العمالية الحرة يرعب الدكتاتور الشيوعى العجوز "شيرينكو" وحكومته

الاستبدادية، وذلك لخطورة هذا التمرد البولونى فى نظر الشيوعيين جميعا، ويزيد من فزع هؤلاء جميعا تمسك لجنة التضامن بمبادئها العمالية..

٢- التمرد المجرى: إن بذور التمرد فى المجر قديمة قدم السيطرة الروسية على الشعب المجرى إلا أن بوادر التمرد الثورى الجديد فى البلاد، والرغبة الشديدة الملحة فى القضاء على النظام المفروض على الشعب المجرى، وفى تقليص السيطرة الكاملة لموسكو على مقدرات الشعب المجرى، وتخليص السياسة المجرية داخل البلاد وخارجها من السيطرة الروسية، هذه البوادر الثورية الحذرة، وهذه الرغبة الشديدة للتخلص من هيمنة موسكو قد ظهرت فى البلاد من جديد نتيجة ثورية للتمرد الأفغانى ضد الطغيان الروسى فى **أفغانستان** التى أعلنت التمرد فى ظروف تشبه الظروف المجرية فى كثير من ملامحها وملابساتها السياسية والعسكرية والاجتماعية..

٣- التمرد الألمانى الشرقى: إن التمرد داخل ألمانيا الشرقية ضد موسكو، وضد سيطرتها العسكرية والسياسية، وإعلان التقارب بينها وبين شقيقتها ألمانيا الغربية، بدأ بوضوح فى الأيام الأخيرة، فقد أعلن هذا التمرد من جانب أكبر حليف لحكام موسكو وهو الرفيق " أريك هونيكر" رئيس حكومة ألمانيا الشرقية التى تفرضها موسكو على الشعب الألمانى فى الجزء الشرقى من البلاد الألمانية، ومن المعروف أن ألمانيا الشرقية هى أهم دولة أوربية بالنسبة لروسيا الشيوعية التى تثير فيها الفزع الأكبر نسفا وقتلا وإرهابا، وروسيا هذه قلقة فى هذه الأيام أشد القلق من تمرد التقارب بين الدولتين الشقيقتين.. ألمانيا الغربية والشرقية، ويرى شيرننكو الحاكم المطلق لروسيا الشيوعية أن تمرد ألمانيا الشرقية، وإعلان التقارب بين جزئى البلاد الألمانية يتطور إلى مرحلة خطيرة فى نظره، لذلك يرى أن يقوم بإيقافها بطريقته،

وذلك للقضاء على التمرد الخطير الذى أعلنه رئيس ألمانيا الشرقية ضد السيطرة الروسية..

وإذا كانت روسيا سعيدة كل السعادة بنشاط المعادين للولايات المتحدة الأمريكية فى ألمانيا الغربية فإنها قلقة أشد القلق من التمرد الذى أعلنه رئيس ألمانيا الشرقية، وأعقبته دعوة الرئيس الغربى هلموت كول للرئيس الألمانى الشرقى لزيارة ألمانيا الغربية..

إنه لأول مرة فى التاريخ الألمانى، بعد تقسيم ألمانيا إلى الدولتين الشرقية والغربية تجرؤ الدولة الشرقية بالتمرد على روسيا وحكامها المفروضين على الشعب الألمانى فى الجزء الشرقى من بلادهم، وتعلن صراحة وبوضوح عن موقفها السياسى والأخوى بالنسبة للشعب الألمانى فى الجزء الغربى من البلاد..

٤ـ التمرد الرومانى: كذلك يبدو من بعض تصرفات الرئيس الرومانى الرفيق شاو شسكو أنه قد تمرد وهو الآخر على حكام موسكو، فهو لا يحضر مثلا اجتماع يدعون لعقدها، ويحضرها زعماء الدول الشيوعية الأخرى، وهذا التصرف نوع من التمرد الحذر يظهره شاو شسكو بين الحين والآخر، وهو فى الحقيقة يعبر بتصرفه هذا عن رغبة الشعب الرومانى فى التخلص من الهيمنة الروسية المفروضة على هذا الشعب فرضا، لأن الشعب الرومانى ساخط على موسكو، وعلى حكامها أشد السخط لأسباب كثيرة أهمها حرمان هذا الشعب من حقوقه فى الحرية، وهو تواق إلى أن تزال كل العوائق التى تقوم موسكو بوضعها فى طريقه، وهذا ما يخيف روسيا وحكامها وعلى رأسهم شيرننكو الحاكم الروسى المستبد..

٥ـ تمرد القس الأسود: لم يوسع التمرد الإسلامى فى **أفغانستان** نطاق التمرد للدول المستضعفة فى الكتلة الشيوعية فحسب، بل مهد الطريق لهذا النوع من

التمرد الخطير للدول المستضعفة الأخرى فى كل من أوربا وأمريكا.. ففى الولايات المتحدة الأمريكية تمرد جدير بالذكر يمثله القس الأسود جس جاكسون الأمريكى الأسود ضد خضوع السياسة الأمريكية لكل الطلبات اليهودية الصهيونية الصغيرة منها والكبيرة، وهو تمرد من النوع الذى تؤيده أغلبية طبقة السود المستضعفين فى كل من أمريكا وأوربا، كما تؤيده أعداد كبيرة وهائلة من الأمريكان البيض المسئولين فى الحكومة الأمريكية وخارجها أيضا..

٦- تمرد نيكاراجوا: وهناك فى نيكاراجوا فى أمريكا اللاتينية تمرد خطير بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، حيث أعلن الشعب فى هذا البلد التمرد ضد السيطرة الأمريكية على دول أمريكا اللاتينية، وقد أثار هذا التمرد اللاتينى موجة من الذعر والقلق والخوف الشديد بين المسئولين فى الحكومة الأمريكية خشية من تزايد موجة التمرد وانتشارها فى دول أمريكا اللاتينية ضد المصالح الأمريكية.

٧- تمرد ألماأتا: أعلنت "ألماأتا" عاصمة جمهورية قازقستان تمردها العنيف ضد النظام الشيوعى المفروض عليها، وعلى شعب الجمهورية كلها، وقد لعب فيه الجهاد الأفغانى دورا من أهم أدواره الجهادية فى تاريخه. وقد تمردت عاصمة قازقستان فى أعقاب تصريح ليونيد بريجنيف الذى قال فيه: " إننى لن أسمح أبدا بقيام دولة تهدد حزامنا الرخو فى الحدود الجنوبية" وهو يقصد بذلك قيام دولة إسلامية حقيقية فى **أفغانستان** على الحدود الجنوبية للجمهوريات الإسلامية التى تحتلها روسيا الشيوعية. وكانت انتفاضة شعب قازقستان وعاصمتها "ألماأتا" فى وجه الحكم البلشفى المركزى ردا عمليا لهذا التصريح لذلك العجوز الذى خانه تفكيره. وفى أعقاب ذلك أعلن الناطق الرسمى باسم المخابرات الروسية فى تاجكستان، وقال: "إن تدخل المجاهدين فى بلداننا سيؤدى إلى حدوث زلزال"

ويرى المراقبون أن هذا الزلزال ليس ببعيد، وهو على وشك الحصول فى هذه الجمهوريات..

٨ـ تمرد جدار برلين: إن **أفغانستان** المجاهدة كانت بداية تغييرات كبيرة فى كثير من الأحداث العالمية، ومن تلك الأحداث الدولية هدم جدار برلين الشهير، حيث يرى المراقبون أن بداية هدم هذا الجدار الذى كان يفصل بين الأشقاء كانت فى **أفغانستان**، يقول الجنرال الباكستانى ميرزا أسلم بيك: يعتبر الجهاد الأفغانى بداية التغييرات الدراماتيكية التى طرأت على النظرية الشيوعية، وأدت بجدار برلين إلى الانهيار.

إن الجهاد الأفغانى قد غير تفكير كثير من الطواغيت الروس، وتمكن من تعديل منهجهم السياسى والعسكرى.. قال غورباتشوف فى عقب تسلمه السلطة: إن **أفغانستان** جرح نازف فى خاصرة الإمبراطورية الروسية..

وقد انتصرت **أفغانستان** الجرح النازف بفضل جهادها، وبفضل تفانى أبنائها فى هذا الجهاد الذى حرك العالم كله، ووجهه وجهة التمرد، والقيام بالثورات العارمة ضد النظرية الشيوعية التى عانت من جحيمها دول المعسكر الشيوعى، وفرضت عليها فرضا تعسفيا لا يتواءم مع فطرتها وطبيعتها الإنسانية، حتى تخلصت منها فى أعقاب ما أثاره الجهاد الأفغانى من حركة التمرد فى جميع أنحاء العالم.

جدة

١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م